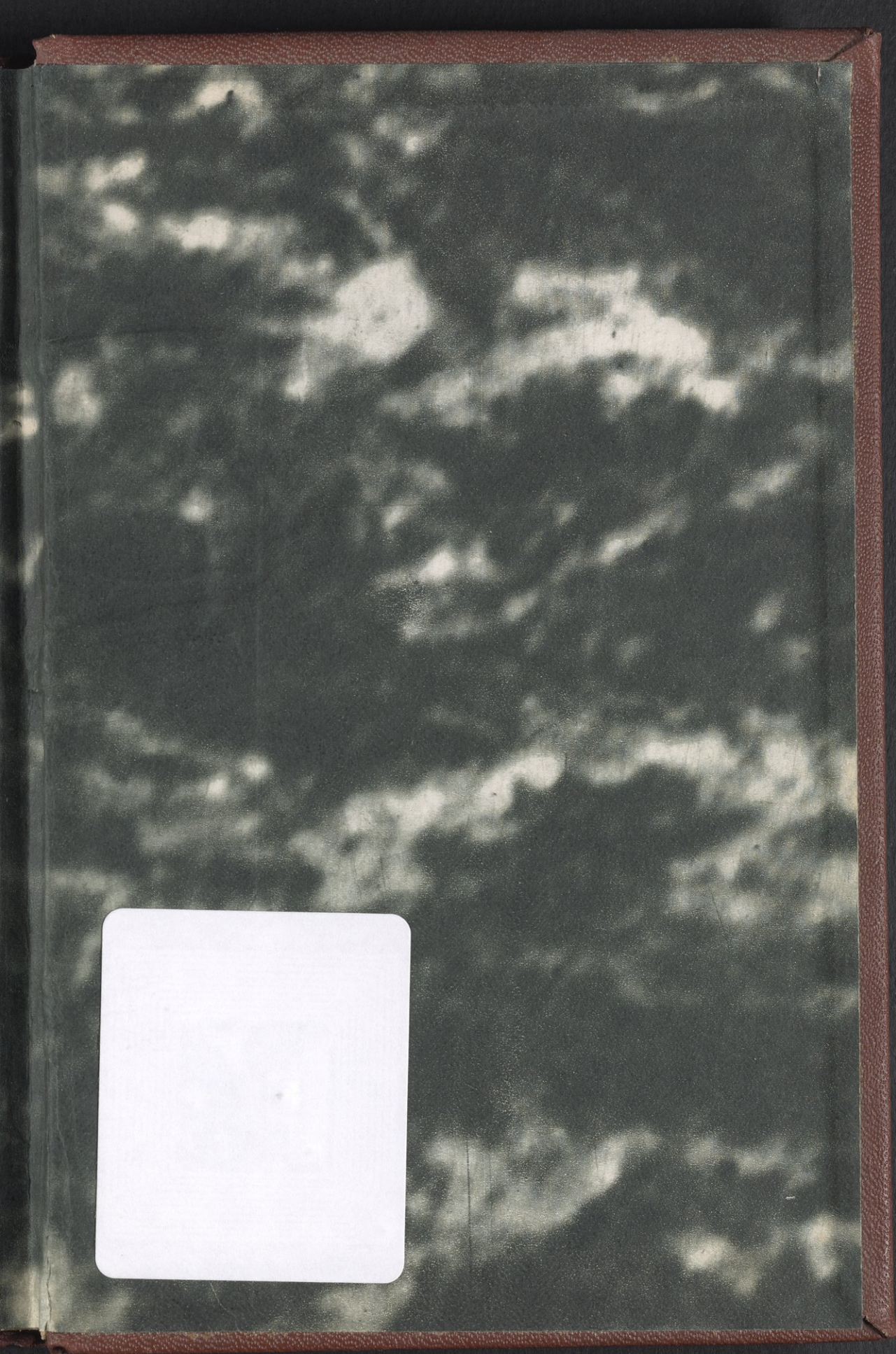
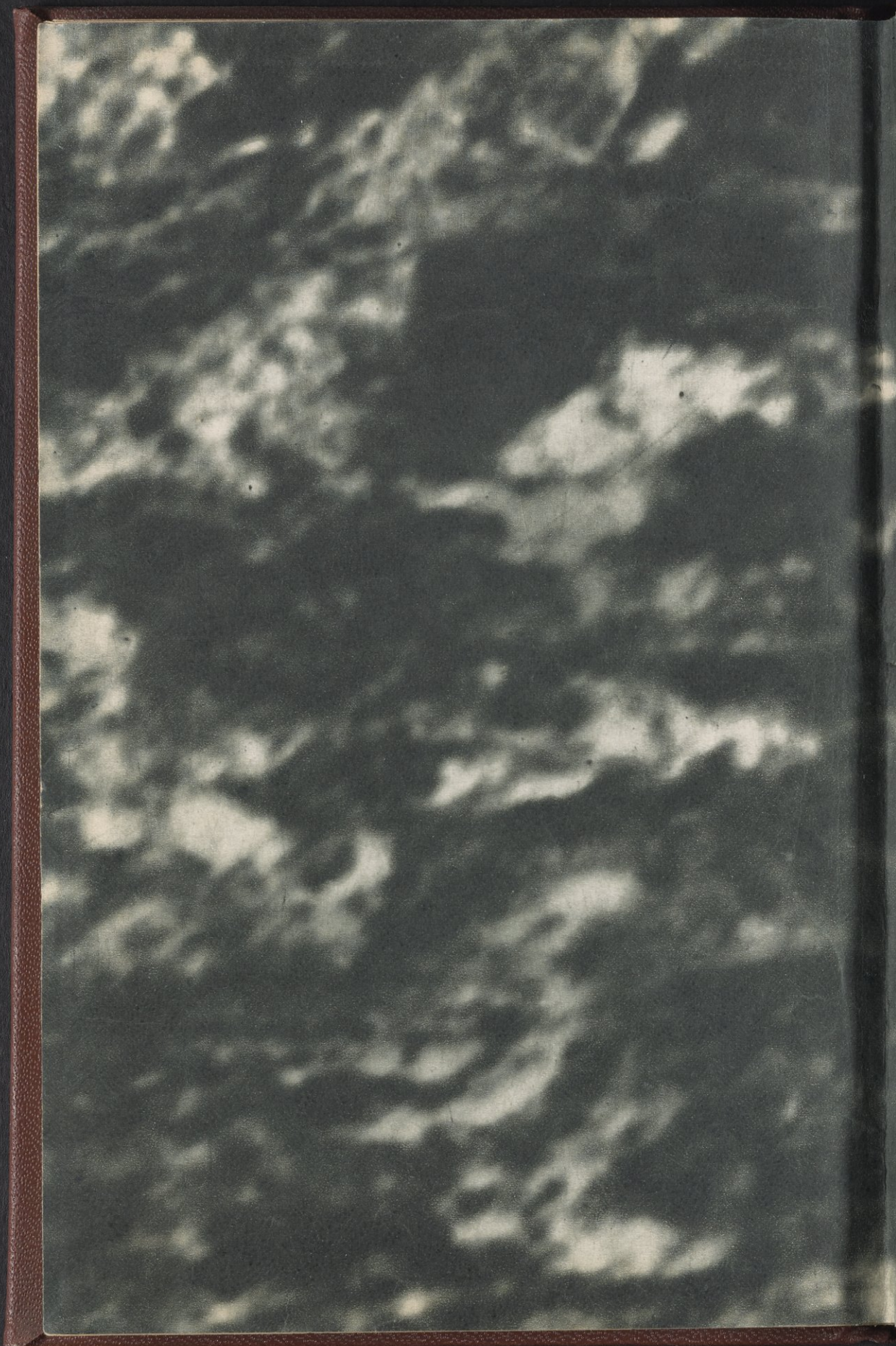


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 00974 2457





02-8742

Put Jan 20

1315

Pj

7814

Q6

ASX

1942

al-'Aqqād, 'Abbās Mahmūd

A'āsir Maghrib

أعاصير مغرب

نظم

عباس محمود العقاد

الطبعة الأولى

١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى - شارع محمد علي : مصر

لصاحبها : مصطفى محمد

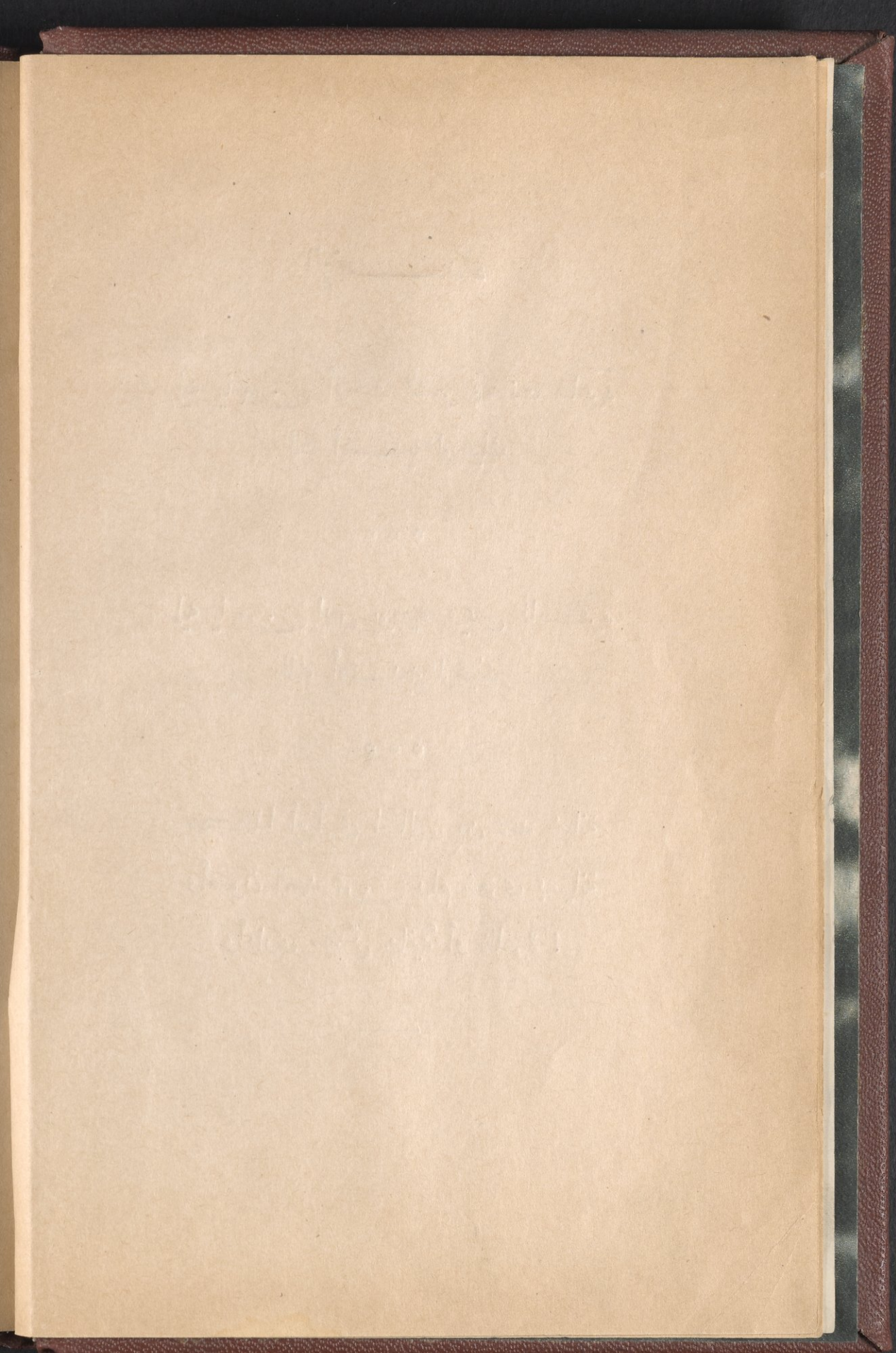
حقوق إعادة الطبع محفوظة للمؤلف

الإهداء

إيه يا من أوحى الشعر وخانت شاعره
لك أهديه لوحيك

إيه يا من ليس يوحيه ويمسى ذاكره
لك أهديه لرعيك

هكذا أبرأ في الحالين من حمد خيانة
وأصون العهد ممن رام شعري بصيانة
وأدارى حيرتى خافية أو ظاهرة !



مقدمة

في اسم الديوان

شاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الصديق الذي نأنس به ونستطيب الكلام والصمت معه

وشاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الكتاب الذي نستمتع به ونحب القراءة فيه

وبين الشعارين فارق . فما هو؟ أيكون الأول أصدق في الشاعرية وأجزل في العبارة وأجود في الصناعة وأجمل في الأسلوب؟
قد يكون كذلك

ولكنه كذلك قد لا يكون

لأن الصديق الذي نأنس إليه ونستطيب الكلام والصمت معه لا يلزم أن يكون خيراً من الغريب الذي لم نعرفه ولم نأنس إليه . فقد يكون بين الغرباء من هو أفضل من أصدقائنا خلقاً وأجمل سمياً وأطيب سيرة . وإنما يجب الصديق إلينا أنه يشاركنا في الشعور ويعيش معنا في عالم نفساني واحد ، وتلك بعينها هي مزية الشاعر الصديق على الشاعر الذي نقرأه ولا نشعر له بصداقة . فهو ينظر إلى الدنيا كما ننظر إليها ويحس بها كما نحس بها ، وإن لم يكن كذلك

واختلفت بيننا وبينه وجهة النظر ومذاهب التفكير فلعله مع هذا أقرب إلى تعزيتنا والنفاذ إلى ضمائرنا من شعراء آخرين لا يشنون في نفوسنا العزاء ولا يعرفون إلى ضمائرنا طريق نفاذ . أما الشاعر الذي نقرأه ولا نصادقه فقد يجيد ويفضل غيره في الإجابة ولكنه غريب نلقاه كما نلقى كل غريب

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق في اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومي والشريف

ومنهم في اللغات الأوربية ليوباردى ، وهنريك هيني ، وتوماس

هاردى ، وهذا فريد عندنا في هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين

رجعت إليه وأنا أفكر في طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم

الذى يناسبه فقرات له الأبيات التى يقول فيها :

« أنظر إلى المرأة ، فأرى هذه البشارة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى

الله مبتهلاً إليه : أسألك يارب إلا ما جعلت لى قلباً يذبل مثل

هذا الذبول

« إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وإننى

إذن لأظلم فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور

« غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يحتلس فلا

يحتلس كل شئ ، ويترك فلا يترك كل شئ ، ولا يزال يرجف هذه

البنية الهزيلة في مسامها بأقوى مافي الظهيرة من خلجة واضطراب ،
فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لي الاسم الذي اخترته لهذا
الديوان ، وهو « أعاصير مغرب » ، وإن لم يرد في الأبيات ذكر الأعاصير
أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذي احتواه هذا الديوان ...
لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب
بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التي هزت كيان « الشيخ » هاردي
فتمنى من أجلها ذبولاً في القلب كذبول إهابه

ورأى في الغزل الذي نظمه هاردي بين السبعين والثمانين ليس
بالرأى الحديث ، فلم أعجب به اليوم لأنني صاحب ديوان بعد « وحي
الأربعين » بل أعجبت به لأنني كنت أرى في زمن الفتوة أن
الشعور والتعبير لا ينتهيان بانتهاء الشباب ، ومتى بقي الشعور والتعبير
فما الذي بقي من مادة الغزل والغناء ؟ .

واتفق منذ بضع عشرة سنة أنني كتبت في هذا المعنى ^(١) وأن
كتابتي فيه كانت بصدد الكلام عن هاردي الذي أوحى إلي اليوم
اسم ديواني الجديد . فأنيت على غزله أجمل ثناء ، وقلت أجيب الأديب
الأستاذ سيد قطب الذي استغرب إجادة هاردي شعر الغزل في
السبعين من عمره : « إن المسألة بعد ليست مسألة نظريات يرجع فيها

إلى تباين الآراء والأذواق ، وإنما هي مسألة حقيقة لا ريب فيها ولا اختلاف عليها . إذ كل ما يجب علينا لنقول إن الشيخوخة تجيد الغزل أحيانا هو أن نعلم أن توماس هاردى نظم شعر الغزل بعد السبعين وأن ما نظمه بعد تلك السن كان جيداً مقبولا رضى عنه قراء الشعر واستزادوه ، وأنه كان هو من أسباب تلك الشهرة الذائعة التى أحرزها فى عالم الشعر بين قراء الأدب الرفيع بعد اشتهاره بالرواية وحدها فى سن الشباب . فهل نظم توماس هاردى غزلا جيداً بعد السبعين ! نعم ... وإذا كانت نعم هى الجواب الذى لا بد منه فلا حيلة للنظريات ولا لتعريفات الشباب والحب والغزل فى نفى هذه الحقيقة المقررة »

ثم قلت : « على أننا لو فرضنا أن توماس هاردى لم يُخلَق فى هذه الدنيا ولم يكن بين أيدينا هذا المثل القريب ولا مثل غيره من الشعراء الشيوخ الذين ساهموا فى المعانى الغزلية وبلغوا فيها بعض الإجادة أو كلها - فهل تمنعنا النظريات ومراقبة الظواهر النفسية أن نتنظر المعانى الغزلية بعد انقضاء الشباب ؟ أما نحن فنقول : لا . لأن الحب شئ والغزل شئ غيره ، وإن كان الحب هو موضوع الغزل والمعنى الذى يدور عليه

« فالحب » عاطفة شائعة بين الناس ، بل شائعة بين من ينطق وما

لا ينطق . ولسنا نغنى الصلة الجسدية التي تنقضى بانقضاء دوافع الفطرة
فان هذه لا تسمى حبا ولا هي من العلاقات القائمة بين فرد بعينه
وفرد آخر بعينه ، لأنها فوضى مشتركة بين جميع الذكور وجميع
الإناث من فصيلة واحدة

« ولكننا نغنى الصلة النفسية التي تجمع الفردين معا بعلاقة لا
لا يغنى فيها أى فرد آخر من الفصيلة . وقد ثبت للباحثين فى طبائع
الاحياء أن بعض الطيور والحيوانات تتزوج مدى الحياة ويتنقل
الذكر والأنثى منها آلاف الفراسخ بين أوربا وأفريقية ثم يعودان
من تلك الرحلة إلى حيث كانا سنة بعد سنة حتى يموت أحدهما أو
يعتاقه عائق لا قدرة له عليه

« فالحب على هذا لا يستلزم الغزل لافى الإنسان ولا فى غيره
من الاحياء ، وإذا قلنا إن لكل حى غزله الذى ينطق بما فى نفسه
فليس يسعنا أن نقول إن كل محب شاعر ، وإن كل متغزل فنصيبه
من الحب مثل نصيبه من الغزل على السواء

« إن الذين يقتلون أنفسهم حبا من غير الشعراء الغزليين أكثر
جداً من الذين يبلغون فى الحب هذا المبلغ بين أولئك الشعراء . فلا
ريب أن الشاعر لا يحسن الغزل بغير حب ، ولكن لا ريب كذلك
فى أن الحب قد يعلو حين يهبط الغزل ، وأن الغزل قد يعلو حين

يهبط الحب ، على درجات لا تناسب بينها في العلو والهبوط
«... والشباب هو سن احتدام الشعور وهجوم الحياة ، ولكن
أى شباب وأى شعور ؟ فقد يقضى الفتى أوائل شبابه ولا معنى
للحب عنده إلا أنه « وظيفة فزيولوجية » مهمة يساق إليها بغير هداية
ولا تمييز . وقد يطلب الشريك في الحب وهو لا يعلم ما الذى يطلبه
فيه وما الذى يأخذه منه وما الذى يعطيه ؟ لأن الحب عنده هو
جوع جسدية أو نفسية يشبعها أى شريك يصادفه ويلفيه على مثل
حاله من الرغبة والاشتياق . وقد يكون احتدام شوقه ناقصاً من
جبهه ، كما أن احتدام الجوع فى الجائع يغنيه بكل طعام حاضر ،
ويجعل الأكل هو المقصود لذاته ، لا الصنف ولا الطعم الذى يميز
ذلك الصنف من سواه

« والحب على أتمه وأعمه وأقواه هو تفاهم بين نفسين وامتزاج
بين قلبين وجسدين ، وقبل أن يفهم الإنسان نفسه كيف ينشد
التفاهم مع نفس حبيبه ؟ وقبل أن ينكشف له قلبه كيف يعرف
مواضع الكشف والحجاب من القلوب ؟ وقبل أن يكمل بناء
جسمه كيف تكمل فيه رغائب الأجسام ؟ وقبل أن يعرف النساء
كيف يعرف المرأة ! بل قبل أن يزاول الحياة كيف يزاول لباب
العاطفة التى تنضجها الحياة ؟

« فليس الاحتدام هو الحب نفسه ، لأن هذا الاحتدام قد ينقص من الحب ، كما أن الحب قد يلهب الاحتدام فيمن لم يكن يعانيه

..... » فلشباب حبه ، والرجولة حبها ، وللكهولة بعد ذلك

حب لا يشبه الحبين

..... » وإذا تقضى الشباب وتقضت بعده الرجولة وتقضت

بعدهما الكهولة فهل تنفذ مؤنة الغزل وهل تبطل دواعيه ؟ كلا ! فهناك الحنين والتذكر وكلاهما مؤنة للغزل لا تنفذ وداعية حاضرة في كل حين . ولو سألنا الشعراء الذين عاجلوا النظم في خواجج النفوس شيوفا وشباناً لعلمنا منهم أن خير ما نظموه في شوق أو حزن أو ألم أو خالجة تائرة أيا كان فخواها إنما كان كله من قبيل الحنين والتذكر . لأنهم ينظمون بعد فوات الثورة الداهمة واطمئنان اللوعة العارضة ، فيسلس لهم المعنى ويصفو الشعور من كدر الدخان والضرام

... » فلا عجب أن يجيد هاردي الغزل أو يجيده سواء من

الشيوخ سواء أنظرنا إلى الحقيقة الواقعة التي لا ريب فيها أم نظرنا إلى المعهود من أطوار النفوس والقرائح . وقد يحسن أن نذكر بعد هذا أن إجادة هاردي في الغزل لم تكن إجادة مطلقة يطمع فيها كل شيخ ينظم القريض وتثبت له العبقرية ، ولكنها كانت إجادة هاردية

عليها سمة الرجل وفيها طبيعة مزاجه التي لم تفارقه في شباب
أو شيخوخة»

ومضت الأيام والسنوات بعد كتابة هذا المقال فلم يكن فيما
قرأت ولا فيما عرفت شيء يخالف ما بدا لي من هذا الرأي منذ نظرت
في حقائق العاطفة والتعبير . وأحرى أن نعلم مع الزمن أن العاطفة
الزمن للحياة الإنسانية وألصق بها وأعقق فيها من أن تحصرها فترة
واحدة أو تحتويها صورة واحدة أو يختتمها عهد واحد . فهي
- ككل شيء في الحياة - تزداد فهما على طول المصاحبة وطول
المراس والمساجلة ، وعلى حسب ازدياد الفهم يزداد التعبير ويزداد
الاشتكتناه والتصوير . وبخاصة بين الذين يقضون حياتهم في عالم
الشعور والجمال ، وهو عالم الفنون والآداب . وهم الشعراء
والموسيقيون والمصورون والممثلون

ويصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها
على صورتها الأولى . أو هو العهد الذي تفاجأ فيه البنية بشعور
جديد لم تكن لها به خبرة من قبل . فيشاهد عليها ما يشاهد على كل
بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك
في حالة كحالة الشاب في أول عشقه : وجه ساهم ، وفم مفعور ،
وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونفس مطرود وهذه هي

الحالة التي يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره ، مع أنها أخرى
أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تعهدها البنية ولم تألفها النفس فلم
تزل بها حاجة إلى الثبت منها والرياضة عليها . ثم تأتي هذه الرياضة
شيئاً فشيئاً مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور

في هذه الحالة - حالة المفاجأة - تتفتح النفس على عالم
مسحور حافل بالصور والزخارف والأسرار ، وتجد القريحة بالمعنى
البكر والخيال الطريف ، وتتسع للشاعر منادح الإحساس ولوصف
الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين
المجلىين . ولكن سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير فلا يمتنع عليه
سبيل القول بامتناعه ، كالذي تسحره المدينة لأول نظرة فيصفها على
التو والساعة في الصورة المتوهجة التي أضفاها عليه سحرها . ثم
يقيم فيها سنة وسنوات فلا يجملها بعد معرفة ، ولا يعز عليه وصفها
بعد قدرة . ولكنه يصفها غير مسحور ولا مبهور . فيخسر وصفه
ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظرة وطول الخبرة وصدق
المشاهدة ، كأنما تغيرت المدينة وهي لم تتغير بين النظرتين ، ولا أخطأ
واصفها في إحدى الحالتين

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة فكيف يكون شأن العالم
النفساني الذي ليست له حدود ؟ وكيف يستنفد هذا العالم

الرحيب في نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى ؟
وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضعفاً يفارق الحياة بعد
المصافحة الأولى ولا يعلم أنها هي صاحبة الدار ، وأنها هي الحياة ؟
فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفساني حيثما تشاء على
اختلاف الأوقات والأجواء ، وليست أعاصير المغارب بدءاً في
عالم الأكوان ولا في عالم الإنسان .

وقد أشار عليّ صاحبنا هاردي فأحسن المشورة فيما اخترت
لتسمية هذا الديوان . فقد نظمته بين ثوائر الأفكار وثوائر الحروب
وثوائر الصدور ، فلو بحثت له عن عنوان أدل على ما فيه لانقطع
عنان الاختيار دون المراد

سألني صديق يرى أنني تشاءمت من حيث يتفاءل فقال : ولم
استعجلت المغرب وقد أجله صاحبك هاردي إلى ما بعد السبعين
بل الثمانين ؟

قلت يا صديقي اقرأ أبيات ييرون إن شئت ولا تقرأ أبيات
هاردي إن لم تشأ ... فإنما هي حالة تلم بالرجل فيما قبل الأربعين كما
تلم به فيما وراء السبعين

وييرون ماذا قال في السادسة والثلاثين ؟ ماذا قال وهو في

يقظة الحياة ومعترك النضال؟

نظم تلك الآيات التي سماها بعضهم « عيد ميلاد أخير » فقال :
« آن لهذا القلب أن يسكن ، مد عز عليه أن يحرك سواه ،
ولكني وقد حُرمت من يهوى إلى ، حسبي نصيباً من الحب أن
أهوى

« إن أيامي لمكتوبة على الورقة الداوية . إن زهرات الحب
وثماره ذهبت إلى غير رجعي . إنما السوس والديدان وحسرة
الآسى ، هى لى لى وحدها تحي

« وهذه النار التي تأكل الحنايا ، كأنها جزيرة بركان في عزلة
قاصية ، حممها لا توقد جذوة أخرى ، وإنما هى نار تبيت على
سرير الردى

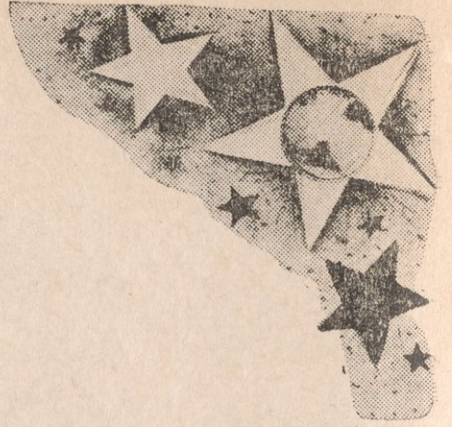
« وتلك الأشواق والأوجال والهموم الغيري . ذلك الحظ
المقسوم من اللوعة العليا . تلك القدرة على الهيام والهوى . ليس لى
منها حصة تبقى ، فما لأغلاها في عنق لا تنزع ولا تبلى ؟ »

نظم بيرون هذه القصيدة في عيد ميلاده السادس والثلاثين ،
ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذي لا حب بعده ولا حياة ،
ولكن هكذا كان على ما أراد أو على غير ما أراد . فماذا تغنى

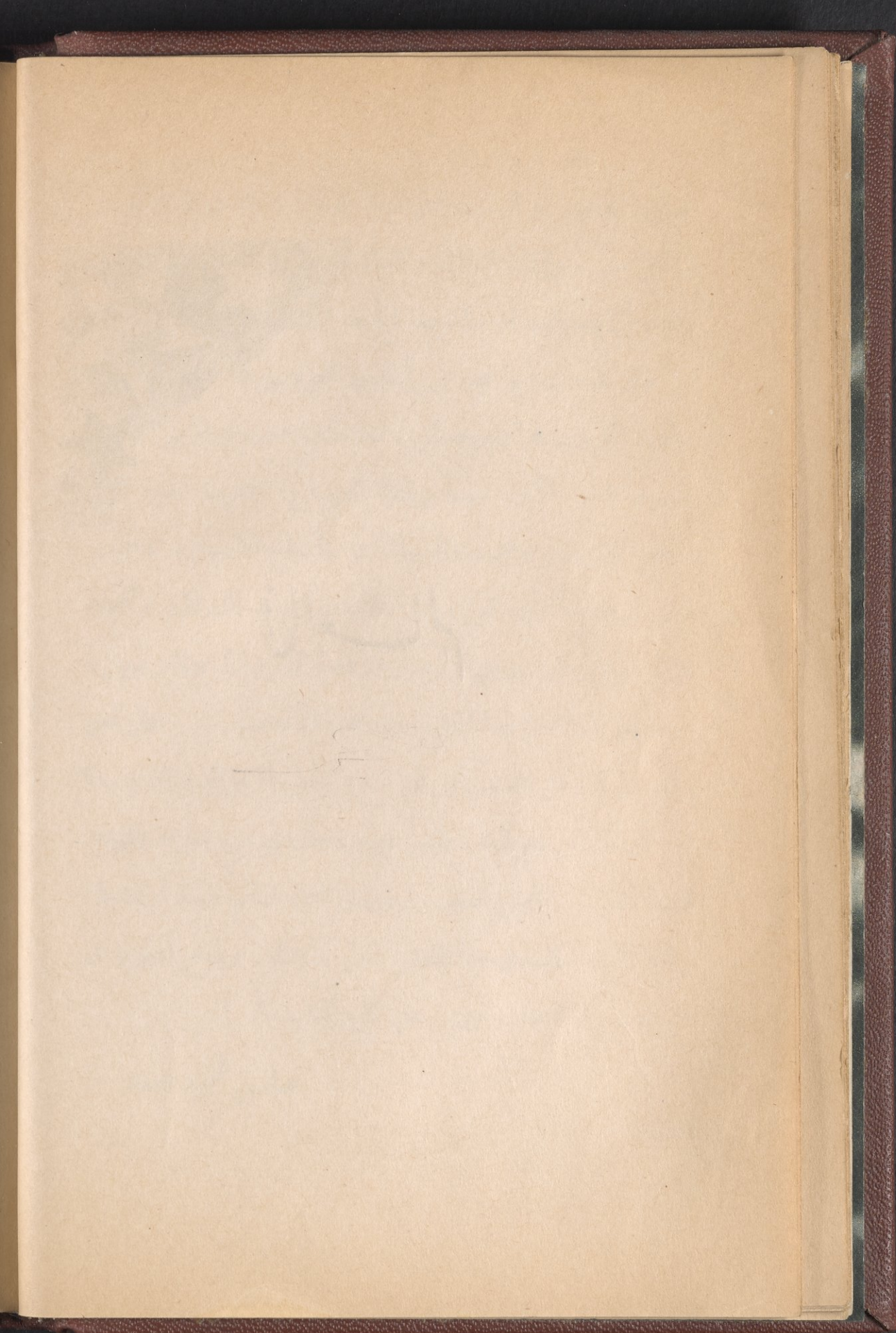
السنون القصار أو السنون الطوال ؟ إنما هي حالات تلم بالنفوس
فى كل حين ، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان ، والزمن
وحده أن يصدقهما أو يكذبهما فيما يقولان

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب فاذكر متفائلاً أن
ساعات الغروب هنا بغير حساب . فنزد سنين جمعت دواوينى الشعرية
فسميت الجزء الأول منها « يقظة الصباح » وسميت الجزء الثانى
« وهج الظهيرة » وسميت الجزء الثالث « أشباح الأصيل » وسميت
الجزء الرابع « أشجان الليل » ... ثم ظهرت لى بعد ذاك الليل وأشجان
ثلاثة دواوين هى : وحى الأربعين ، وهديّة الكروان ، وعابر سبيل ،
ثم ها نحن أولاء فى هذا المغرب وفى هذه الأعاصير ... فهل نحن
راجعون ؟ وهل للشمس من « يوشع » يؤجل لها مواقيت الغروب ؟
إن كان للشعر « يوشعه » فليس نصيب هاردى من مغربه المديد
أمنية أشتها ، وليس نصيب بيرون فى ضحاها القاتم نعمة أرتضيها ،
وإن كانت الكلمة فى هذا للقضاء يفعل ما يشاء ، ويتبع أسلوبه فى
الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب ؟

عباس محمود العقاد



في العالم



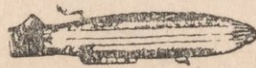
يارب .. وياخلق !

يارب !

يارب أعطيناك أرواحنا في هذه الحرب وفي الماضية
ياربنا فاقض لنا مرةً بالسلم في أيامنا الباقية

ياخلق !

ياخلق ما أرواحكم سمحةً عندي ، ولا إن سمحت كافية
أعطيتُم إبليس أضعافها من حيواتٍ عندكم غالية
وبعتمُ في سوقه كلَّ ما وهبتكم من عيشة راضية
لم تشتروا السلم بأرواحكم بل اشتريتم نقمة ثانية
عطاؤكم إبليس سمحٌ بلا أجر ولا أمنية خافية
وما بذلتم قط لي قربةً إلا رجاء العفو والعافية !



عباد الطغيان

كلكم . كلكم مع الغالب الظا لم لاتعدموا من الظلم رغما
لووقفتم يوما إلى جانب المغلو ب ما فاز غالب قط ظلما

قريب قريب

عجبنا زمانا لهذى الحروب وما فى الحروب لعمرى عجيب
أتعجب من أن قومًا تموت ، ومن أن قومًا قساة القلوب
وما قسوة الناس بدع ولا أرى موتهم بالجديد المريب
فهذى هى الحرب يا صاحبي كلا طرفها قريب قريب

فصد !

قالوا هى الحرب فصد به الشفاء يؤمل
قلنا : نعم . فصد عرق حى وإعفاء دمل !



الخلود المزدري

نفوس أعاف مقامي بها أأخذ فيها؟ لبئس الخلود !
وسجن أعاف وجودي به أليس كفيلا يبغيض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبي خالد يك ، وقل من مَزَكِّ لهم أو شهيد
فلا خير في عيشهم سرمدًا إذا سرمدوا في ضمير القروء
فرب خلود كقيد السجين ، ونسيان قوم كفك القيود

سوء توزيع

دنياك فيها جال ورحمة وسرور
تلق ولا تبغها وتبغى فتجور (١)
هذا هو الشر عندي ومنه تنمو شرور



(١) جار عن الطريق : حاد عنه

بأس الطغاة

بأس الطغاة تقول !؟ مهلا . عداك الدهول
هيات يطغى ابن أنثى فى أمةٍ أو يصول
مالم يعنه عليها جهل وحقد دخیل
هما الأصیلان فاعلم وكل طاغ وکیل
وما لطاغ سیل لولاهما أو دلیل

الداء العالمی

أرثى له عالمًا شقیا
یُقَاد مستسلماً زریّا
ومن هم القائدون ؟.. رهط
من شرهم خسةٌ وغیا
هذا هو الداء لا قتال
یطوی صفوف الجموع طیا
فالجهل یزرى بكل حی
ولا تعیب المنون حیا

قلت للمريخ^(١)

قلت للمريخ أعذله وهو يذكي جمرة الغضب
ويك! ما هذا الخراب؟ وما ذلك الإغراق في العطب؟
أسم تسطو على أسم واطي ثوارة اللهب
ودماء كالبهار على عيلم^(٢) للدمع منسكب
وقبور كظها تخما جث الهلكي من السغب^(٣)

* * *

قال : مه يا صاح أين ترى كل ما استهولت وأعجبي
أرضكم ما زلت أبصرها نائيا حيناً وعن كشب^(٤)
هين ما قد تبدل من سمتها في هذه الحقب



(١) المريخ في أساطير الأقدمين هو رب الحرب

(٢) بحر

(٣) الجوع

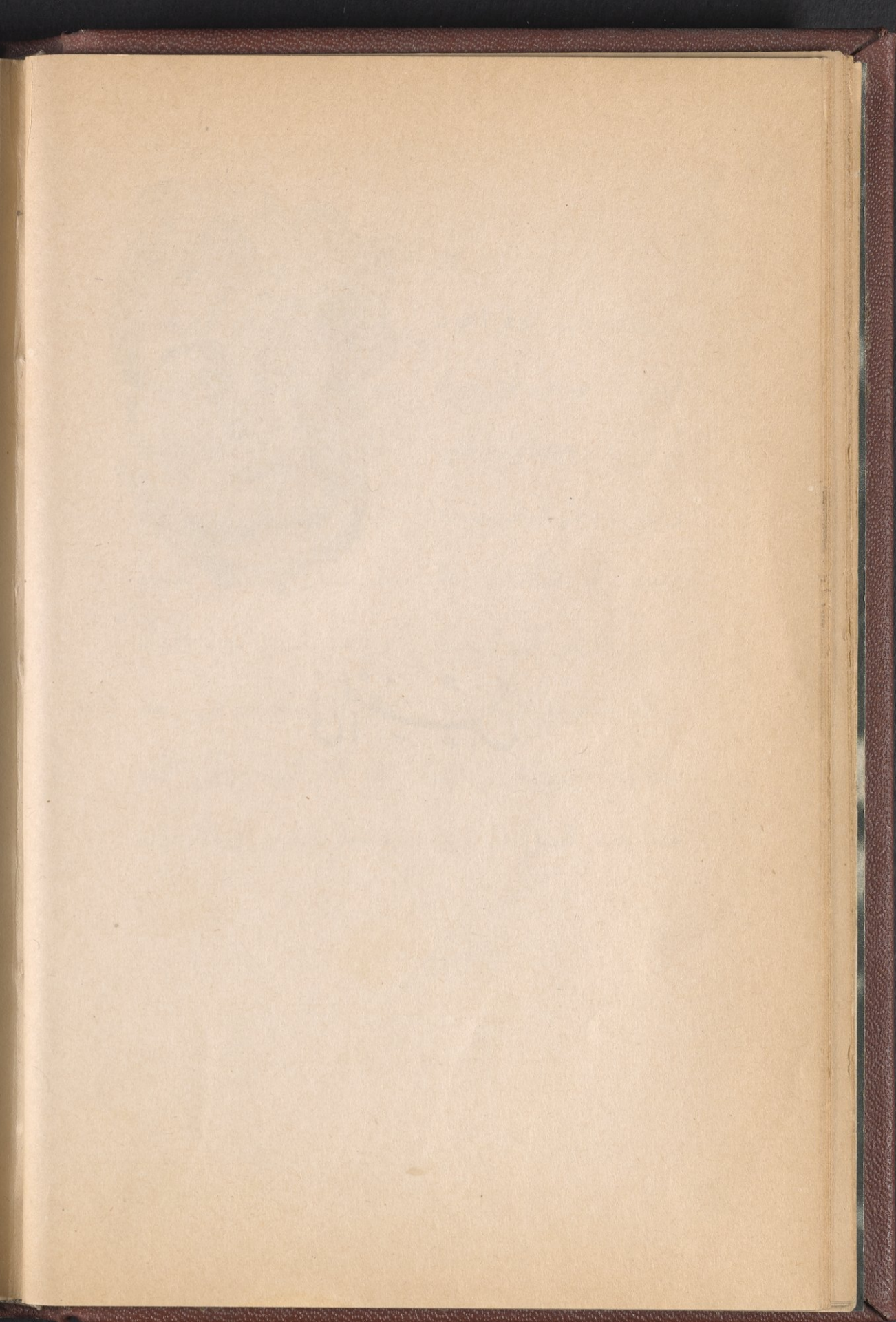
(٤) عن قرب

جزاه الله

جزى الله هتلر أوفى الجزاء	بما قد أجاد وما قد أساء
فما زال يقذف من حوله	مواظاً يلقفها من يشاء
ألم نر كيف يكون الحقير	حقيراً ويقضى بأيدي القضاء
وينهى ويأمر في قومه	ويبرم في أمرهم ما يشاء
وينزو الممالك في عالم	تفدى ممالكه بالدماء
ويفتح باريس في وثبة	ويوصد لندن دون الهواء
فوالله ما الحرب في هولها	وفي كل ما خيبت من رجاء
بضائعة عبثاً لودرى	بنو آدم كيف يزجي الشاء
فقد يضحى العمل المزدري	فيضخم ضعفين في الازدراء



فِي النَّفْسِ



هذا هو الحب !

غريرةٌ تسأل : ما الحب ؟

بُنيتي ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أن أبصر ما لا يرى أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيع الحق ماسرني فان أبي ، فالكذب المفترى

* * *

الحب أن أسأل : ما بالهم لم يعشقوا المنظر والخبرا ؟
ويسأل الخالون ما باله هام بها بهرا وما فكرا ؟

* * *

الحب أن أفرق ^(١) من نملة حيناً ، وقد أصرع ليث الشرى
وأن أراى تارةً مقبلاً وخطوتى تمشى بي القهقرى

* * *

الحب كالخمر فإن قيل لي سكرت ؟ هم القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائل نعم . ولا أحفل أن أسكرا

* * *

الحب أن يفرق أعمارنا عهدان ، والعهد وثيق العرى
أحسننى الأكبر حتى إذا عانقتنى ألفيتنى الأصغرا

الحب أن نصعد فوق الذرى والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا وأن نرى آلامنا آثارا

الحب أن أجمع فى لحظة جهنم الحمراء والكوثرا
وإننى أخطئ فى لففتى من منهما روى ومن سغرا

الحب أن يمضى عام وما هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علقت فى ساعة حواشى الدفتر والأسطرا

بُنَيْتِي ! هذا هو الحب

فهيمته ؟ كلا . ولا عتب !

مسألة أسهلها صعب

لا الناس تدرىها ولا الكتب

حسبك منها ، لو شفت حسب ،

إشارة دق لها القلب

عمر زهرة

قريدة في روضها أخيرة في الموسم
عيشي وأهدى غيرها في كل عيد، واسلمي
ألست أنتِ مثلها علمت أو لم تعلمي
هدية الخلاق لي وقد رأى تنسمي؟ (١)

زهرك البيضاء هـلاً تذكرين نشرها؟ (٢)
حفظتها في خدرها هل برحت مقرها؟
حفظتها . حفظتها فهل حفظت سرها؟
قصصتُ منها عقدة لكي أطيل عمرها

من يحفظ الزهرة أسبوعاً إلى تمامه
قد يحفظ الحب إلى السابع من أعوامه
فاتتظريه في غد يسأل عن غرامه
ولا يمسه إلا لكي يزيد في أيامه

وتسألين ما لنا نقص منه ياترى ؟

(٢) رانحتها

(١) تنسم تلتطف في طلب الخبر أو الراحة

نعم فكل - ي ناقص ما عمرا
كم ساعة نبتوها تزيد فيه أشهر
فلا يزال مشتهى ولا يزال أخضر



كوييد يتسلسل

نفذ النعاس فؤاده وصبا وصحا، فمال، فهام، فاضطربا
ونفى السامة بعد ما بلغت منه المشاش (١)، وعادو اللعبا
وجرى الذى ما كان يحسبه يوما يكون، وطالما حسبا
فى توبة الخسین يشغله وجه، ويملاً صدره رغبا
ويظل يسأله، وإن وهبا... ويبيت يسمعه، وإن كذبا
ويعد منه الزور مآثرة أو لا يريد بزوره سيبا؟!

(١) رأس العظم

* * *

رجع الهوى . عجباله ، عجباً ! لا طاعياً وافي ولا لجباً
لم أوله بابا ولا كنفا عندى ، فكيف أطل واقتربا
ناديته حيناً فراوغنى فالיום نادانى وما طلبا
بيننا أقول صدده حذرا طلع النهار إذا به انسربا
لذ يابنى بمن يلاذ به ولك الحى ، مالم تهج غضبا

* * *

هذا الصغير على غرارته يدرى النفاق ويحسن الأدبا
وتراه فى العشرين مستبقا وتراه فى الخمسين مصطحبا
ويغىظ من كيد وعردة فإذا أغىظ شكا أو انتحبا
متمرسا بالدهر مختبرا خيم^(١) القلوب محاذراً دربا
سأضمه رفقا ، وأوسعاه برا ، وأملك قلبه حذبا^(٢)
ويقيم لأخشى كنانته^(٣) ... السهم أخطأ والحسام نبا

* * *

(١) الخيم : الطبيعة

(٢) عطفاً

(٣) قدماء اليونان يصورون الحب طفلاً يحمل كنانة يرمي بأسهمها من يلقاه

أَكْذَاكَ أَمْ هُوَ خَادِعِي أَبَدًا حَتَّى إِذَا أَمِنَ الْحَيَى انْقَلَبَا؟
سَيَانُ . مَا أَنَا حَازِرُ لَعْدٍ أَغْلِبْتَهُ بِالْكَيْدِ أَمْ غَلَبَا
حَذَرِي أَشَدَّ عَلَى مَنْ خَدَعَ تُشَقِّقِي وَتُسَعِدِ بِالْمَنَى نُوبَا
فِي كُلِّ يَقْظَةٍ خَائِفٌ هَرَمٍ وَمَعَ الْخَدِيعَةِ لَذَّةٌ وَصَبَا



مسرة واحدة

تم الكتاب وألقت باليراع^(١) يدي
وُضِنَ الطرسُ إحساسى وإدراكى
مالى به غير مسرور ولا كلف
ألا يسرَّ يمينا نبتها الزاكي
ضيَّعتُ فيك مسراتى فما بقيت
لى من مسرة شئ غير لقياك
لولا هواك لألهانى السرور به
عن عالم ضاحك أو عالم باك

دنيا مقلوبة

صوت النذير^(٢) الذى أبقاك خائفةً على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً إلى الطريق لعمري كيف أرضاه
الحب والحرب واوياً لا قد اجتمعا فى القاب فانقلبت أحوال دنياه !

(١) القلم

(٢) النذير بالغارات

الحب

ما الحب روح واحدٌ في جسدَي معتقَين
الحب روحان معاً كلاهما في الجسدين
ما انتهى من فرقة أو رجعة طرفة عين

الطير المهاجر

علمتني مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم
أتراني لا أسمع الطير إلا في رياضي معشياً لا يريم (١) ؟
رب شاد في هجرة يتغنى وعليه السلام والتسليم
من جنوب إلى شمال ، وحيناً من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقل (٢) وداع وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كل يوم جديداً فسواء جديده والقديم
كم مُولٍ وصفوه لا يولى ومقيم وصفوه لا يقيم



(١) يفارق

(٢) حين يرح ويسافر

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدرك هنا هنا في جوارك

هنا هنا عند قلبي يكاد يلبس حبي
وفيه منك دليل على المودة حسبي

ألم أنل منك فكرة في كل شكة إبره
وكل عقدة خيط وكل جرة بكرة!

هنا مكان صدرك هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسير مطوق بحصارك !

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه : هل مر منه إلى طيف غريب ؟

نسجته يديك على هدى ناظريك
إذا احتواني فإني مازلت في إصبعيك

قولى مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

حديثك الممتع لي
من ثغرك المقبل
وأنت لي في منزلي
وشيكاً أن تحبلى
من قبلة حرى إلى
لغو إلى ابتسامة
ولا تقولى عندها
لا . لا . مع السلامة
حتى إلى القيامة

أما إذا مسرتى (١)
نادتك يا حبيبتى
فاستمعنى تحيتى

(١) ترجمة حديثة لكلمة التليفون

ثم « اسألي عن ليلتي »
ثم اضحكي وسلسلي
ضحكتك النغامة
فإن أطلت بعدها
فهذه علامة
قولي مع السلامة قولي مع السلامة

الغيرة

إذا رابك القلب الذي لا تنوشه
مخالب من وسواسه أو نواجذ (١)
فلا تحسبي أني خلي من الهوى
ولا أنني سال هواك فنبذ
ولكنني راض بما تظهريه
وما أنا في السر المغيب نافذ
فلمست إلى مافات منك براجع
ولا أنا معط فوق ما أنا آخذ

(١) ناشه : تناوله وأخذ به ، والنواجذ : أقصى الأضراس

هبة لا تنقل

تريدن قلبي؟ خذيه خذيه! ... رويدك . لا . بل دعيه دعيه !
 دعيه إذا غبت غنى أرى حياك فيه ، وحي فيه
 وسر أبوح به خلصة وإن كنت من قبل لم تسمعيه
 أخاف على البعد أن تلعي به يابنية أو تهمليه
 فكم لعبة وقعت من يدك وقوعاً أرى القلب لا يشتهي
 إذا مالعت به ها هنا فإني لآمن أن تكسريه
 تريدن قلبي ؟ خذيه خذيه ولكن بربك لا تنقليه

بعض الزراية

بعض الزراية نافع في حبهن فلا تغال
 لولا الزراية لم تطق منهن مشنوء^(١) الخصال
 ما حبهن من المها نة في قرارته بخال

(١) المشنوء : المستقبح

قبل السكر

لمع الشراب وراق منظره فرشت منه خلاصة الراح
حتى إذا غلبت سكرته صفقته (١)، فرددت أقداحي
شكراً . فما أقسى المغبة لو أمسى يشاب ولسن بالصاحي
قد حان أسلم لي ، وإن قنت عيني لمعة حسنه الضاحي

لغير البيع !

جواهر الحب قالوا غير زائفة مهلاً . فما أنا فيه بائع شار
كلا ، ولا أنا من شك ولا ولع بالسر عارض أحجارى على النار
خذ معدن الحب إن ألفت معدنه إني قنعت بومض منه غرار
مال الأناسي من حب يدوم ولا حب يقوم على صدق وإيثار



(١) صفق الشراب : حوله من إنا. إلى إنا.

جزاء التحدى

بُنِيَّةٌ ما صنعت؟ جزاك ربى بحب فى مشييك مثل حبي
لقد غيرتنى حتى لوانى أرى قلبى إذن لجهلت قلبى

سلىنى كيف كنت وكيف صرت وقولى ما صنعت وما صنعتُ
قدرت على الحوادث بعد لآى (١) وهأنا ذا كَأَنى ما قدرت

أخاف وكان لى قلب قرير فها أنا ذا إذا صفر النذير (٢)
أتوق إلى غد لتراك عيني وأرجم من يغار بمن يغير

وكانت لى سـالـم أرتقيها فرادى لا أبالى ما يليها
فعدت مشنياً عـجـلاً كَأَنى أخو العشرين مرتقياً سنيها

وكنت من السامة لا أبالى... أذمّ الناس أم حمدوا فعالى
فها أنا ذا أسائل ما عساها ستسمع فى من قيل وقال

(١) اللآى : البطء. (٢) نذير الغارات

وكنـت هزئت حتى بالجمال وحتى بالفنون وبالمعالى
فمـالى اليوم لا أرضى بحال وكنـت الأمس أرضى كل حال؟

* * *

أعود إلى الحياة فـتلك عنـدى هموم المستعيد المستعد
تـحديث الحـياة فـهل جزئـى بهذا الحب عن ذاك التحدى؟

إعفاء

أعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء . !
خونى ! فما أسهل التقصّي عنـدى وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى فقدك يازينة النساء

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذى يُعقب الشكوى
ففى من النعمى ، وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حبة
فلا نار بعد اليوم . . . اليوم للحلوى !

وَمَحْضَتُهُ ماءُ الشَّبَابِ فما ارتوى
 فهل في خريف العمر يطمع أن يروى
 رَضِيتَ بما أعطى وأحسبه ارتضى
 بما أنا معطيه على غير ما يهوى
 فلا زال في عقباه ضحكا بلا بكا
 ووصلا بلا هجر، وهجرا إلى سلوى

زهرة ديسمبر

خل أيار^(١) ونوّاراً له ربما أعجب قوما . ربما
 خير نواري الذي أهديته زهر في شهر كانون^(١) نما
 عيد ميلادك من بستانه يا ربيعاً في الشتاء ابتسما
 هات يا كانون زهراً كلما سقط الزهر تعالى وسما



(١) أيار و كانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء.

من تقليد « نشيد الأناشيد »

أجل تلك خباياها وهاتيك خطاياها
فهل تدرين ماذا لك الذى يدعى مزايها؟!

* * *

لما فيها من العيب سنسأه وننساها
وللحسن الذى فيها سنحى الآن ذكراها

* * *

سأحصى لك ما يعجب منها ، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضب بعد السعى والدس

* * *

ثناياها . ثناياها وهل ذقت ثناياها؟
وعيناها ، ويا للقلب ! كم تسبىه عيناها؟!

* * *

وتلك الوجنة الخمرية السكران رائها
أنى الجنة يارضوا ن تفاح يحاكها؟!

* * *

وتلك القامة الهيفا زانتها زواياها
إذا ماجار ردفاها أقام الجور نهداها

* * *

وتلك النسمة الحلو ة في ثوب الأناسي
هي الروح الفراشة في النور السماوي !

* * *

دعيها تفسد الخنس بين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هي الأكس ير باسم الحب يحينا

* * *

وعندي من حمياً (١) الش عر إكسيري وترياق
وهل كالشعر في الدن يا ربيع دائم باق !

مزيج

ما الحب من محض الصداقة يابني ، ولا العدا
الحب فيه الخصلتا ن ، وفيه مزجها سواء
أحلى الصداقة والعدا وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء والاغتصا ب ، وقل على الدنيا العفاء !

مسابقة

أغنيها عن خدعتي زمتا وخذعت نفسي في محبتها
فبلغت أقصى الظن بمتحنا صبرى ، ولم ألحق بخطوتها

لا تخلفي !

لا تخلفي وعدى فأكبر لذتي
في الحب إعزازی لصاحب عهده
ويغض من إعزازه ودلاله
أني إذا وعد ازدريت بوعدة

أخلفي

إن كان خلفك للوعود تدللا بمكانك الغالى لدى فأخلفي
ما كنت أتبعه القطيعة آنة هو منك واجبي يطيل تشوئي

بنت البحر

أبنية البحر التي ضربت لنا بسكندرية موعداً لتلاق
إني مددت يدي لتلمس شاطئ قدمك لا لتعجلي إغراق

اكذبيني

اكذبيني مرة أو فاكذبيني مرتين
ألف ألف من أعاجيبك في غش ومين
لن تبيد الفارق الخا لد ياقرة عيني
والسماوات التي بينك في اللب وييني

اكذبيني واكذبيني كلما شئت اكذبيني
ماغناء اللب عندي إن أبي أن تخدعيني
أنا في ثروة وفر منه مهما تسلييني
أنقصها . أي ضير ؟ درهما أو درهمين !!

تقويم العام

تقويم هذا العام من لحظاته الأولى لديك
قومي ارفعيه وارفعي عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطالعه إلى رجعه موقوف عليك

* * *

وإذا انتهت أيامه وكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه .. وترجّبين بما تلاه
ويحي إذا دار المدى ورعيت وحدي ملتقاه!

* * *

هي قبلة ضمت عرى عامين فاتصلا اتصلا
ومنى الخواطر في غد عام كسابقه مآلا
لا نعجلن به فما أقسى الحياة على العجالي

* * *

لا . لا . فهذا يومنا وغد، وبعد غد، خفاء
أنا مغمض عيني ومس تمع إلى حادي الرجاء
فإذا سمعت حذاء فدعيه يمضي حيث شاء



وعام ثارن

بشرای . ماأنا شاهد یعام وحدی ملتقاک
دارت بروجک والهوی یخطو وتتبعه خطاک
وحدت وجهک مقبلا ومضى ، فلم أذم قفاک

هذى فتاتي هذه ! هی لاخلاف ولا اشتباه
هی فی بدیع قوامها هی فی الصبا ، هی فی حلاه
هی فی غوايتها وآ ه من غوايتها وآه

ضمی تُغیرک یابنیة وابعی منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى عام ، ولكن بالقبل
إن ساعفتی لیلۃ فدعی العهود إلى أجل

عام تفتّح بالرجاء وبالرجاء ختمته
ودعت ذاك العام فی قربی كما استقبلته
قولى ، وقدولى ، أفی شرع الوفاء قضيته ؟

لا تخدعني يا بنية بالوفاء من اللسان
خنا وخنت ولا أقول سلى فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معاً والآن نحن الباقيان

ذهبت خيانتنا كما ذهب الوفاء ومن يفون
لازمة تبقى ولا يبقى الوفاء ولا الخون
كم ذمة ضيعتها يا عام في تلك الغضون !

انظر ألت ترى فتاً في حيث كنت ضمنتها
في جلسة الأمس التي حتى الصباح جلستها
فكانها ما فارقت صدرى ولا فارقتها

وإذا سألت وربما جاء السؤال بلا كلام :
« ماذا تقول مودعي والليل يومىء بالسلام »
حيرتني يا عام فاستمع مع الجواب ولا ملام

ما كنت عندى أيّ هذا العام كلك بالسعيد
لكن سويحات مضت لى فيك تنسى ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى أعطت ودنيانا غرور
حسبى قليل عطاها وقليلها أبداً كثير
إن عاد يوم غد كآه من فدر زمان كما تدور



وعام ثالث

... والثالث الموصول أقبل مرحباً بالثالث
رجبت منه بمقبل إقبال لاه عابث
ما كان يكرثنا (١) شقا قا لم يعد بالكارث

(١) يهمننا ويشغل بالنا

* * *

رضنا الغرام رياضة ال فرس العصي فاذعنا
لا جامحا قلقا ولا تعباً يئن من الوفي (١)
أنعم بذلك مركباً بين العواثر لنا

* * *

ما للغرام يسومنا بنعيمه وشقائه
إنا لمغتصموا جهنم مه اغتنام سماءه
لسنا على يده يحو دلنا بمحض سخائه

* * *

ما شب من نار طبخنا فوقها حلوى الهوى
أو صب من غيث غمسننا فيه آلام الجوى
أو زف من ريح وهبناها الشراع كما استوى

* * *

أهلاً بعام ثالث يتلوه عام رابع
بل خامس فيما عهدت وسادس أو سابع
ما ضاقت الدنيا وفي جنينك قلب واسع

* * *

قلبُ تفتح بعد ما استعصى بباب واحد
أو قل تشقق بالجر اح فلم يضق بالوارد
ما حيلة الأعوام في غير الزمان الفاسد

* * *

يا قلب إنك قد أردت فأين ويحك ما تريد؟
عام سعيد ! إى ور بك... قل إذن عام سعيد!
هيك اعتزلت سروره أتراه ينقص أو يزيد؟

بعد سنة

سنة مرت ولا كل السنين
بين صيف من هو انا وشتاء
وربيع كلما غام أضاء
والضحى والليل حيناً بعد حين

* * *

سنة كان لها نجم فريد
غمر الشمس وغطى القمر
ومشى في حسنه منتصرا
كلّ برج تحته برج سعيد

* * *

إن يكن لي في سناه رقباء
فالذي أرصده لم يرصدوه
والذي أنشده لم ينشدوه
والذي هاموا به عندي هباء

* * *

سنة مرت على روض الغرام
أنبت فيه فنون الشجر
من رياحين وغرس مشمر
وسل الأرواح ما أركى الزمام !

* * *

يومها الأول وافى ودنا
فانس أيامك في ساعاته
واجمع الصافي من لذاته
جرعة ، واطرب عليها زمنا

* * *

جرعة نجمع فيها سكر عام
إن شربناها فقد تشربنا
أو سكبناها فقد تسكبنا
في الهوى روحين في كأس وئام

* * *

هات لي الذكرى وقرّب لي العيان
فهما يا صاحبي بين يديّ
حضرا الساعة يا صاح لديّ
ربة الذكرى وذكرها قران

* * *

هات لي الذكرى أراها وتراني
غضة ملهوسة في راحتيّ
حلوة معسولة في شفتيّ
جنة تنبت في كل أوان

* * *

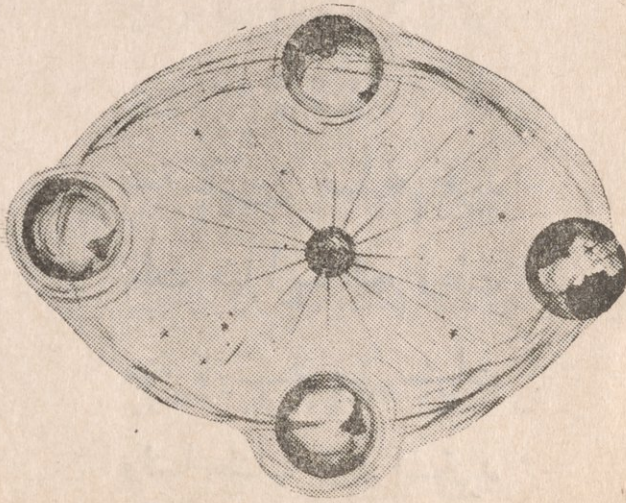
جنتي لاحية تخرجني
أبداً منها ولا أحيائها
لا ولا إبليس أو حواؤها
أنا فيها خالد كالزمن

أنا منها وهي مني في الضمير
فإذا فارقتها بالنظر
لم يفارقها ضميري عمري
وله العصمة من مس السعير

سنة كان لها نجم فريد
هات منها أيها النجم وهات
سنة ثانية بل سنوات
ولنا منك مزيد المستزيد

أنت يا نجم معيدُ ما تشاء
لا السماوات ولا داراتها
غنيةٌ عنك ولا أوقاتها
أنت ميقات شمس وسماء

أنت تدنيها سماء زلفا (١)
تنسج الوقت لنا منفردين
لامشاعا كنسج النيرين
بل لنا طوع يدنا وكفى



المرأة والخداع

خلّ الملام فليس يثنيها ، ... حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ، ورياضة للنفس تحيها
وسلاحها فيما تكيد به من يصطفها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها من طول ذل بات يشقيها
أنت المألوم إذا أردت لها مالم يُرده قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها أبداً تخلص إلى أغلى غواليها

رواية

ماغرني إقناعها كلا ولا إمتاعها
ماذا تخبي طفلة رقت ورق قناعها
بل غرني علم الطب ع ، وللنفوس طباعها
أو ليس علما بالحياة هون فيه صراعها
إني أشاهد كيف يطم في القلوب رضاعها
أو كيف يسرى في النفوس الواعيات خداعها

أو كيف ينهض بعد طو ل سباته دقاعها (١)
 أو كيف يومض بعدما خفت السراج شعاعها
 دغنى فتلك رواية شاق وشاق سماعها
 ألمى الوجيز رقاعها إن قيل أين رقاعها؟
 وأنا العليم ، وقد علمت ، متى يكون وداعها

لغيرك !

لغيرك غفران تلك الخطايا
 وغض الجفون وستر الخفايا
 لغيرك ، لا لك ، صبرى على
 مساوى يُحسبن عندى مزايا
 لمن أرسلتك ، ومن جملة
 لك ، ومن حبها كامنٌ فى حشايا
 ألت رسول الحياة الأم
 ين بأسمى الهبات وأغلى الهدايا
 فهاتى الرسالة واستغنى
 ثنائى ، ولا تعجبي من هوايا

(١) الدقاع : قوة الموج وكل مدفوع

إذا الرسل أفضت بما عندها
فما حيلتي في اختلاف الوصايا
سواء لدينا بريد الوجو
ه ، إذا حسنت ، أو بريد الطوايا

ماذا استفدت ؟

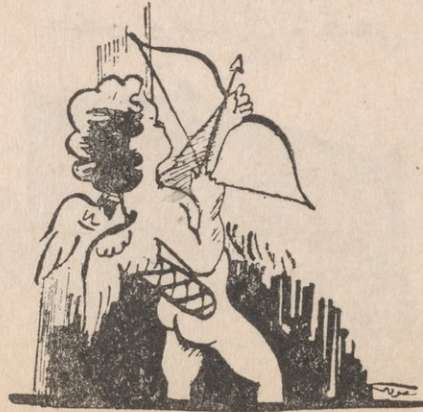
برئت من غش نفسي ولا أقول انتبهت
قد كنت ساهر عين مستيقظاً ماغفوت

* * *

برئت من غش نفسي وليتني ما برئت
ما العمر محض نهار ! في العمر للغمض وقت

* * *

ها أنت ياعين يقظي وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمرى وما عساني استفدت ؟!



تربصى

إذا احتواك قفصى

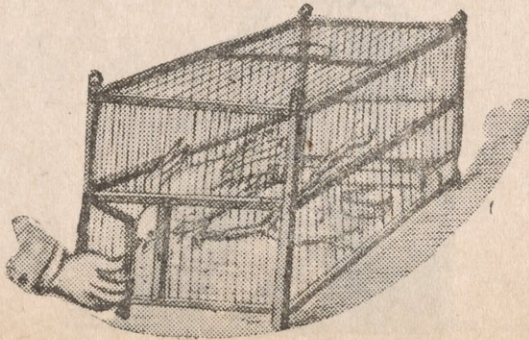
سرى الفتور فى جنا حيك وإن لم تنقصى
وغرّد الطير وضا عت فى الغناء فرصى
وخفت فى سجنك ألا ترقصى

وإن ملكت الأفقا

حيرنى رحب الفضاء مهبطا ومرتقى
وأوشك الصدر لفرط الضيق ألا يخفقا
وطار فى إثرك لى قلقا

تربصى . تربصى !

ما حيلتى ؟ ما مهر بى ؟ ما مخلصى ؟
الموت قناص الأبا ييل وحلال العصى
يقنصنى ويحك إن لم تقنصى



فهمان

لما نفست بما أفا لي في هواك وأطنب
لم تفهمي مني سوى أن النفائس تُطلب
وفهمت من نزغات طبعك ، والطبائع تغلب
أن النفائس كلما عزت ، تراد ، فتوهب !
فرخصت من فرط الغلو وخبث فيما أحسب
وخسرت فيك خسارتين ، وخلصت أني أكسب

كيف ؟

تحفة من بدائع الله تحمي كنزها كف طفلة لا تقر
كيف لي بادخاره في يديها ؟ كيف لي باحتقاره وهو ذخر

مصيبتان

قالوا اسلها ودع البكاء فإنها في حبها ليست بذات وفاء
ومصيتي فيها اثنتان لأنني أبكي لمن لا يستحق بكائي
من كان يبكي الأوفياء في الأسي لمن استحق أساء بعض عزاء

ندم !

عشقتك مُكذِّبا خلقى ورأيت وعفتك صادقاً لهما أُمينا
وما أخطأت فى لومك يوماً وقد أخطأت فى عذرك حيناً

حلم الأبد

أأهواك جسماً علاً وانفرد وفتنة حسنك هذا الجسد
وما فيه من نزوة لا تحدد؟
بنية كوني كما قد خلقت فأنت كما شاءك الله أنت
وما شئت أنا حلم الأبد

عيوبك

عيوبك لم أحفل بها قبل فتنتى وهيات يثنى العيب نظرة مفتون
فيا بؤس للعشاق لاعلمهم حمى ولا جهلهم إذ يجهلون بمأمون

مساومة

ما حيلتني إن جهلت حسنها فسَلَّمتُ بالبخس للبشترى
لو كنت في جهلهما بعثها بيعض ما هان على المزدري
إني على أغلاؤها في الهوى أرجح في الصفقة من منكرى
ليس الذي يقدر ما ناله كمن إذا أُعطيَ لم يقدر

الذات والويلات

غداً تنسين لذات بلا عد ولذات
ولا تنسين ويلاتي ولا زجري وإعناتي
فما في تيك من حبك بعض الحب في هاتي
وهيهات الهوى الطاغى من العابث هيهات

عجائب القلب

تلك التي كنت أغليها وأذكرها صباحاً ومُسَيِّاً وفي سر وإعلان
قد كنت أرحم نفسي من تذكُّرها فاليوم أرحمها من فرط نسياني
عجائب القلب ، ويلي من عجائبه ! عزت نظائرها في العالم الفاني

عدنا والتقيننا

التقيننا

والتقيننا !

عجبا كيف صحونا ذات يوم فالتقيننا
بعد ما فرق قطران وجيشان يديننا
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقيننا (١)

* * *

بعد عصر !

أى عصر ؟

والنوى تجرى وسر الحب فى الأكوان يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر
قضى الأمر كما شاء ، وعدنا فالتقيننا

* * *

(١) كان صاحب الديوان قد سافر إلى السودان على أثر هجوم الألمان والطلليان على حدود مصر الغربية فى شهر يونيه سنة ١٩٤٢ ثم عاد بعد أسابيع لعلاج يديه من حرارة أصابتهما ، فاتفق وصوله قبل يوم الذكرى المشار إليه فى القصيدة

كم بكيتِ

واشتكيتِ

ثم ألهمتِ على الغيب فأصغينا وقلتِ
قلتِ في السابع والعاشر من شهر سيّاتِ
ها هنا سوف تراني ، فرأينا والتقينا

* * *

يوم ذكرى

ذاك أحرى

بالتقاء كلما دار به الحول وأسرى
في سماءٍ تعبر الشعري وتدني كل شعري
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

* * *

قبل عام

ثم عام

كان يوم ، أيّ يوم ، في صفاء وابتسام
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

* * *

وتداني

وكلانا

زائغ الطرف ينجي الأفق قلباً ولساناً
ثم ماذا؟ ثم كن يا بعد لي قرباً ، فكانا
واستعان الحب بالداء حليفاً فالتقينا

* * *

كم غرام

وسقام

عرفا الحلف على غير سلام ووئام
فإذا ما اجتمعنا فانتزعاني من مقامي
فبحسبي منهما أنا شكونا فالتقينا

* * *

يا فتاتي

يا حياتي

لا تراعي بعد هذا من فراق أو فوات
قدر الله كفيل لك في ماض وآت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا

—

نذر مقبول

أرأيت حين نظرت ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذى لباك ؟ من ذا أجا ب منك ؟
قديسة عطفت على المكنون من نجواك
ووعدها فوفيت

* * *

قديسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيتنا
من ذا يلوم هواك من ذا إذن يلحاك
والعذر عذر صبا بى والحق حق صباك
كذبوا إذن وصدقت

* * *

بالشمع كم أغريتها أترك أنت خدعتها ؟
كلا وما أقواك فى خدعة وشباك
فالنور لب غذائها والنور صفو رضاك
شغفت به وشغفت

من الأستاذ عماد (١)

يا حزين النفس أعطيت منها
فاغتم الفرصة حتى منهاها
لا تنغصها اختباراً واكتناها
إن من خاف من الجن يراها

النوى آتية لاشك يوماً
وهي من حولكما لم تأل حوما
همها ألا يدوم الصفو دوما
فعلى رسلك لا تعجل خطاها

لا تقل يا وردتي شوكت أينما
ماعلينا منه فيها ، ماعلينا ؟
إنها أخفته عنا فأنهينا
حسبنا الوردة رقت في نداها

(١) هو صديقنا الشاعر المجيد الأستاذ محمود عماد

ليس شكٌ ، إن للوردة شوكا
وإذا أدنيت كفاً منه شكاً
فاحبك القفاز في كفيك حبكا
واخلص الوردة واستغرق شذاها

* * *

أنت في الجنة ألقيت يقينا
فدع الشك أو استمهله حيناً
إنه الشيطان قد أخفى القرونا
إنه الحية فاحذر من أذاها

* * *

لاتسلها يوم تأتي أين كنت ؟
فبحسب العين أن الحسن يأتي
ذاك وقت فيه يفنى كل وقت
ساعة دقت ، وغابت عقرباها

* * *

ساعة دقت فأدت ما عليها
فعرفت الوقت لم تنظر إليها
مالذي تطلبه من عقربها
إن تغيبا خلف ستر قد حماها ؟

* * *

قلت أنساها بأخرى حين تغرى
أترى أخراك لا تطلب أخرى ؟
من يقول الجمر قد يطفى جمرًا
اللظى من غيرها مثل لظاها !

* * *

إنها منك دنت فلتدن منها
وإذا خانتك من بعد فخها
أو فجرّب هل تطيق الصبر عنها ؟
لا . وشمس الحسن فيها ، وضحاها !

* * *

غصت في اللجة حتى أذنيكا
وحزام العوم لم يلق إليـكا
رحمة الحسن إذن تترى عليك
رحمة إن شاءها الحسن قضاهـا

* * *

وإذا شاء فلا رحمة تتمضي
ودعا بعضك نحو القاع بعضا
تبتغي من تحت هذى الأرض أرضا
لا . فدنيا الحب لا دنيا سواها

محمود عماد

إلى الأستاذ عماد

يا صديق النفس من عهد صباها
نضحك الصادق لو تُشفي ، شفاها
حنةً تبلغ في يوم مداها
ماتراني صانعاً ، أو ماتراها ؟

ناصحي أنت بزهرى أنتشيه
لأبالي الشوك والغصة فيه
كل شوك يا صديق أتقيه
يخرق الدرع وإن دقت عراها

وردتي يا صاحبي في الورد بدع !
بدعها طبع ، وكل الورد طبع
طبعها كالفسخ يهلك ويدعو
وبلاء النفس في مس جناها

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا
الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا ؟

الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا ؟
الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها !

* * *

وردتي آقتها فرط التحدى
جاوزت في كل شيء كل حد

حسنها هيات منه حسن ورد
شوكمها أنفذ من شوك سواها

* * *

أترانى نافعى والقلب دام
وسعار الجرح يمشى فى عظامى

لذة العين بوشى ونظام
وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

آه من برئى وآه من سقامى .
آه من صلقى ، وآه من خصامى

آه من شمسى، وآه من ظلامى
آه من لدعة آه فى جواها

لدعة النيران ينفثن دخانا
ليضىء اللهب الخافى عيانا
لهباً صرفاً تعالى وتدانى
من قرار النفس يرتاد ذراها

آه من آه لحاها الله جداً
لاتزل خالدة فى النار خلداً
من قلوب تلتظى حباً وحقداً
حرفت آهاتها آها فآها

أنا لأطلقها حتى تدوبا
فى لظاها، كلما شبت شبوبا
وأرانى يا صديق لن أتوبا
فإذا تابت عرفنا متهاها

طلاء نفس

زرقة عينيك لا صفاء فيها ، ولكنه فضاء !
حمرة خديك لا حياة ، فيها ، ولكنه اشتها !
قوامك الرمح لا اعتدال فيه ، ولكنه اعتداء !
يا حيرة القلب في هواه ! يا غاية العمر في مناه
وجهك سبحان من جلالة ولوث النفس بالطلاء !

* * *

حبك لا نعمة أراها فيه ، ولكنه جزاء
من في الصبا جرت في هواها ! من تلك مقبولة الدعاء ؟
أنت عقابي فهل كفها برح شقائي أولا اكتفاء ؟
ياجنة حسنها عقاب ياخمرة عذبتها عذاب
متى متى ينطوى الكتاب ؟ متى فراق بلا لقاء !

بنيتته

بنيتته ، والعزم صخرى المتين
ومعولى حدُّ العذاب السنين
اسمع . ألا تسمع هذا الرنين
هذا فتات القلب . هذا أنين
في كل ركن قطعة من وتين (١)

* * *

بنيتته في حفرة من شقاء
والدم والدمع عليه طلاء
هناك ، في زاوية ، في الخفاء
تم بحمد الله ، تم البناء !
ماذا بقي ؟ لم يبق إلا الدفين !

* * *

(١) عرق في القلب

بنيته . يا حسنه ! ياسناه !

بنيته : قبر الهوى فى صباه

قبر الهوى الغالى وواحسرتاه !

قبر الهوى الذاهب فى منتهاه

هل بعد « خمسين » هوى يا حزين ؟

* * *

هاتوا الدفين الغض . هاتوا الأمل

هاتوه أدمى جسمه بالقبل

أدميه ؟ لا . لا دم بعد الأجل

جفّ وما جفت عليه المقل

هاتوه أحييه بذكرى السنين

* * *

دفتته ، ويحك ! هل تستريح ؟

يا خارب القلب عمرت الضريح !

ذاك الثرى المنهال . ذاك الصفيح

ياليته ركن الخراب الفسيح

أو ليتك الساعة فيه الدفين

* * *

آه من الحيرة آه وآه
أنافع قلبي ، رجعي هواه ؟
ولو خلا القبر . أهذا مناه ؟ ...
لو أقفر الساعة مما حواه
خلت من الحيرة أني الغمين



هنت والله

هوّنتِ خطبك جدا ° وختته لى يهونا
حمداً لكيدك حمداً ... حمداً يفيض العيونا
بدّلت بالنار بردا وبالهيام سكونا
إنى أمنت الفتونا
وأنت ماذا أمنت ؟
قد هنت والله هنت !

* * *

كم دار فى الكون رأسى حيران يطوى بقاعه
شكى يسائل حدسى أين اختفت منذ ساعه ؟
سفيتى اليوم ترسى والركب يطوى شراعه
غيبى بغير شفاعه
ما أنت ويحك أنت
قد هنت والله هنت

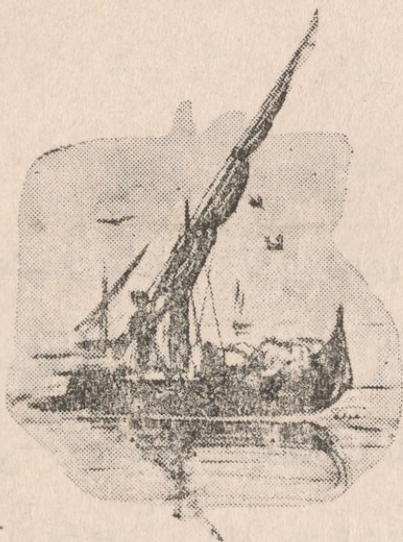
* * *

لو قيل « بنت الهواء » صدقتهم في المقال
ورثته في السخاء وفي شيوخ النوال
لو كان فيك بقائي لم تخطري لي ببال
من بالهواء يبال
كوني إذن حيث كنت
قد هنت والله هنت

خذي عشيقين مثلي لا بل خذي الناس طرا
يلقاك هذا بليل وذاك يلقاك ظهرا
إن تخدعي رب نبل يخدعك نذلان مكررا
وتشربي الجام مرا
حتى يقال جنت
قد هنت والله هنت

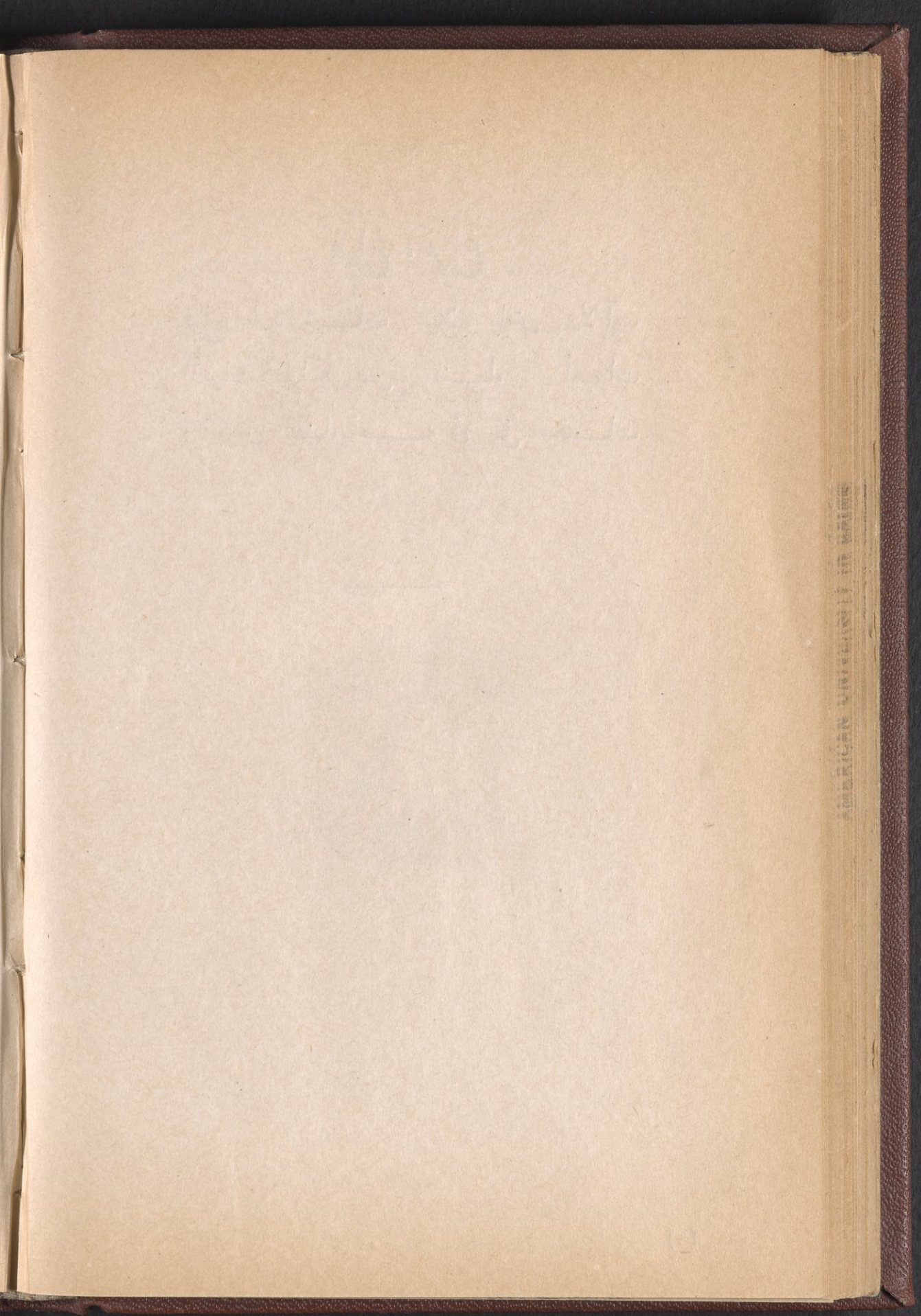
يا فرحة القلب لما رخصت بعد غلاء
خسري بذلك تما وتمّ منك نجائي
ولو حسبتك غنما ل طال فيك شقائي

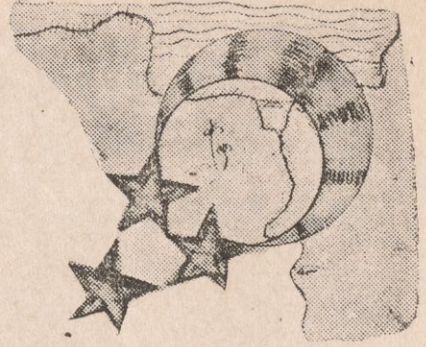
وغص قلبي بدائي
لكن رحمت نخت
وهنت والله هنت



فراغ . فراغ

فراغ بارد شات بلا ماض ولا آت
أأموات؟ نعم لكن نحس فناء أأموات
ويا بؤس الفناء نحسه في كل ميقات





في مصر

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY

غيث الصحراء

ألقيت هذه القصيدة بين يدي صاحب الجلالة الملك « فاروق الأول »
في رحلته إلى الصحراء الغربية (١٩٣٨) وكان صاحب الديوان يمثل
دائرة الصحراء بمجلس النواب

يا حادى البشرى دنا السفر ناد القبائل حيثما انتشروا
فاروق فى البيداء يصحبها... تيهوا بنى البيداء وافتخروا
رفع الخيام على السحاب فلا أسس تطاولها ولا جدر

فى طالع الأيام مرتقب ولسابغ الأنعام مدّخر
كالغيث لولا سبق أنعمه والغيث يلحق بعده الثمر
كالنيل لولا أن موسمه فى كل يوم حاضر نضر
صلح الزمان لكم بمقدمه وازدانت الأصال^(١) والبكر
فاستبشروا بالخصب أجمعه لا جذب حيث النيل والمطر

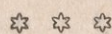
(١) جمع أصيل وهو قبيل وقت الغروب

أحببتموه على السماع كما شاء الولاء ، وشاعت السير
وتشوف الوادى لرؤيته وتساءل الركبان ؛ وانتظروا
وتجاوبت فيكم مدائحهم نظماً رواه البدو والحضر
والعرب أصدق ما سمعت إذا غنوا على البيداء أو شعروا
فالآن فاكثلوا بطلعته وتيمنوا باليمن وابتدروا
ملكٌ تعالى الله باريه سيان فيه السمع والبصر
لم يختلف قول ولا عمل منه ، ولا خبر ولا خبر

ملك تعالى الله باريه بالخير يأمرنا ويأتمر
مستحسماً بالله معتز مستمسك بالحق مقتدر
سبق الشباب به مراحلنا وأعانه الإلهام والنظر
وتفقيات بلوائه عصب وتألفت بفناءه زمر
نعم الأمامة للشباب فلا يأس ولا نكس ولا حذر
جيل لزين الجيل أسلمه رب الكنانة ، فهو منتصر
العزم والشورى إذا اجتمعا فهما قضاء الله والقدر

يلمؤمناً بالله مهتدياً بك مسجد « العوام » مشتهر
يانسج وحدك في مآثره بيديك زين القطر والوبر

يا جاعل الملح الأجاج روى^(١) بيدك طاب الملح والصبر
يا شافي المرضى وكافلهم عيسى على كفئك مستتر
يا حصن مصر ويا دعامتها أقوى الدفاع مراسك العسر
يا شاهد التاريخ في أثر العين أنت ، وما مضى أثر
ما كان منسيا فشهرته بك بعد هذا اليوم تنتشر



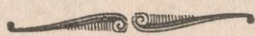
إني إلى الصحراء ملقت وعلى فم الصحراء منتظر
أصغى فأسمع في جوانبها هزجا يشيع بها ، وينحصر
آلاء فاروق يرددها نفر ، وينصت حولها نفر
تنمو وتزهر حيث لا شجر ينمو ، وحيث نمابها الشجر
يهفو النزيل لها وينشدها سارون فوق جماهم سهروا
قوم سماء الله فوقهم وملوكهم لسمائم صور
إن يذكروا بالحمد راعهم فهم الرعاة ، وهكذا فطروا
هم في صراحه أرضهم نشأوا وعلى هدى لآلائها ظهوروا
بلغاء ما عرفوا السطور على غير الرمال ، وعاش ماسطروا

(١) الروى هو الماء الغزير المروى . ومن المنشآت التي افتتحها صاحب الجلالة في مرسى مطروح منشأة تصفى ماء البحر من الملح فيصلح للشرب ، والبيت يشير إلى هذه المنشأة كما تشير الآيات الأخرى إلى المعاقل والمساجد ومعامل النسيج التي افتتحها جلالته في هذه الرحلة والآثار التي زارها

حرمتم الأيام فاصطبروا ومتى أصابوا نعمة شكروا
فاروق قبلتهم إذا رحلوا وإليه موئلهم إذا حضروا
ياملبساً أجسادهم حلالاً شرفت أنفسهم بما ادثروا

* * *

الملك والآفاق والقمر والبحر والبيداء والذكر
أمدته تفوت العين غايته وتموج في أنحائه الفكر
هي رحلة طالت مفاخرها ويعد في أيامها قصر
لوفرقت في الدهر لاتسع لشعابها الأحقاب والعصر
في ساحة الفاروق يملأها زخر الحياة ، ويحجم الخطر
تنقاد طائرة وسابحة ويطيب منها الورد والصدر^(١)



(١) بعض هذه الرحلة تم بالطيارة ، وبعضها بالسكة الحديد والباخرة

تمثال سعد

نظمت تحية لتمثال زعيم مصر الكبير سعد زغلول عند رفع الستار
عنهما بالقاهرة والاسكندرية (٥ أغسطس سنة ١٩٣٨)

الروح في وادى الكنانة حائم
وجلال شخصك في النواظر قائم
ماغاب منك سوى مثال عارض
يمضى ، ويخلفه المثال الدائم
ملك البلاد المستقل وشعبها
في محفليك مساهم ومساهم
أمل لعمرك لم تطاوله المنى
شرفاً ، وحلم مارآه الحالم
تزهى به مصر ويزهى الشرق من
كشب ، ويعجب من صداه العالم

فاروق مولده ومولد نهضة
تنمى إليك ، كلاهما متلازم

فإذا أظلك عرشه وجلاله
فالعادل قسمته ، ونعم القاسم
شيم من الخطاب جمع شملها
العادل الفطن الكريم الحازم
من غير فاروق يصور أمة
أنت الزعيم لها ، وأنت الخادم
من غير فاروق يبارك نهضة
منه الرجاء لها ومنه العاصم
من غير فاروق يقلد رتبة
والصولجان بكفه والخاتم
من غير فاروق يحل رعية
حوليّه سابق مجدها والقادم
من غير فاروق تنصّ يمينه
علما للاستقلال فيه علائم
حياك أو أحيا رجاءك عاهل
عهد البلاد به جديد باسم
ملك كما ترجو لمصر مصدق
بشراك ، مرتسم لما هو راسم

غمر البلاد بحبه وولائه
فولأوه فرض عليها لازم
ركنان للوطنية المثلى هما
عرش^ه ، وشعب حوله يتزاحم
فاهناً بما بلغت من حبيهما
واغنم ولاهما فأنت الغانم

تمثال سعد في الجزيرة ساهراً
هيات يغفل منك لحظ صارم
النيل حولك لا يغيب هنيهة
عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
شأن لربك في الحياة حكمته
فالظل للغصن الوريث مواسم
كم صام سعد عن مناهل حوضه
ويعبّ مقتصب وينهل غاشم
كم بات يرهاه ، وليس بمرتفع
من خيره ما يرتعیه الحاكم

كم غاب عنه ولم يغب عن همه
والبحر دون طريقه متلاطم
بك زادت الأهرام ركناً والتقت
منها على بعد الزمان دعائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها
في الجزيرة الفيحاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا
يعي بنقض بنائهن الهادم
اليوم آن لجانب تاريخها
ألا يظلهما دخيل داهم
في الضفة الأخرى بقية عسكر
قاومتهم جهد المطيق وقاوموا
مصر تضيق ، على اتساع رحابها
بكم فأياكم المقيم القائم ؟
لم تستقر على دعائمك آخرأ
إلا لأنك بانتصارك جازم
والنصر ردك للعدو مواليا
لأنك راغمه ولا هو راغم

سعد على النيل الوفي ومثله
سعد على البحر القوى متاخم
ما أعجب الصنوين للفرد الذى
أعني بصنويه المدى المتقادم
أجاورَ الميناء إنك لم تزل
ميناء مصر ، والخطوب خضارم
تممكننا من حيث يقبل قادم
كرمت وفادته ، ويمنع قاحم
نعم اختيار الموقفين لحارس
وطناً يحارب دونه ويسالم

ياسعد هلا من لسانك قولة
يروى بها هذا الزحام الهائم ؟
يمناك تومى بالكلام فأين من
إيمائها الصوت القوى الناعم ؟
عجبي لشيء فيه منك ملاح
أن ليس يُسمع منه قول حاسم !

عجبي لشيء فيه منك ملاح
أن ليس يخفق فيه قلب عالم !
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة
والصخر بأساً يتقيه الصادم
وتشابهت ثم الأسارير التي
قد شابهتك بمثلهن ضياغم
وتحجبت تلك الأفانين التي
ضاق الصنّاع بها وعىّ الراسم
إن لم تصورها اليدان فربما
خفيت فصورها الضمير الراقم
إن لا تحدثنا فكلّ محدث
من فيض روحك ناثر أو ناظم
أو لا يكن لفظ فدون الوحي من
معناك — كلّ اللافتين أعاجم
الناس حولك سامع أو ذاكر
ما كنت توشك أن تقول ، وفاهم .

قف فوق منبرك الجديد فلم يزل
لك منبر على الذرى وقوائم

يصغى إليه العابرون فيقتدى
داع إلى الحسنى ويخجل آثم
هـ هذا المثال الحى إما حامد

للعاملين غـداً ، وإما لآثم
هذا المثال الحى إما شاحذ

منا عزائماً ، وإما راحم
هذا المثال مؤيد من ثابروا

مزر بمن قصروا الخطى وتناوموا
خصم لكل مخالف آراءه

وفعاله ، وهو القوى الخاصم
جدد لهاتيك الرؤوس حياتها ،

بعض الرؤوس وإن حين جماجم

ما كان تمثالا يماط ستاره
بل منسكا للحج فيه محارم

بل تلك جامعہ يؤمّ دروسها

متعلم سنّ الحياة وعالم

تلك الرياح مجاذبات غطاءه

رسل من العرش العلى حوائم (١)

فاروق أو مزجي الرياح كلاهما

للغيب ، من خلف الحجاب ، تراجم

والغيب يلهمه المليك إذا اتقى

ويفيض من فواه ماهو كاتم

يا أسبق الأعلام ربك سابق

في حيثما استبقت بمصر عظام

ما قام للفلاح قبل مثاله

علم ، ولا دعت إليه معالم

صعدوا على أكتافه وتسنموا

أوج المنابر وهو جاث جاثم

(١) قبل رفع الستار بأيام جذبه الريح فأنكشف فتقال بذلك الذين أشفقوا من
تأخير الاحتفال برفع الستار

قال يوم يبتدىء الزمان بخلقه
حتى كأنك أنت فيهم آدم
شرفاً ، أبا الفلاح ما استفتحت من
همم ، وما استتلي بعزمك عازم
لك لا تزال ولن تزال رسالة
ما للعظام إن بدأن خواتم



ثناء على ماهر

ثناء السكرام على ماهر (١) ثناء على الرجل القادر
على رجل زاهد في الثناء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله فيقبل في جحفل زاهر
ومن كل أيامه صالحا ت لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفي ولا حيرة فيه للشاعر
تجىء مدائح الصادقا ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ونظم المقرظ والشاكر

بياناته مثل أرقامه حقائق للحاسب الحاصر
وآراؤه في ثنايا غد كروية عينيه للحاضر
وباطنه في مواعيده كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق في بأسه تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمّن للعدى وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه في قضاء الفرو ض إقدام مستبسل صابر

(١) من قصيدة في تكريم الدكتور أحمد ماهر باشا (يوليو ١٩٣٩)

إذا ما اطمأن إلى واجب فليس بوان ولا قاصر

أولى الأمر طوبى لكم يومكم وطوبى لكم ذكركم الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا بها نهج مبتكر باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا مدى الحمد من وطن قادر
لكم من بنيه ومن عرشه معاونة العارف العاذر

عيد الجهاد

« ١٣ نوفمبر ١٩٤٠ »

حيث ياعيد الجهاد حيث يايوم المعاد
يايوم مصر وما لها من ناصرين، ولا عتاد
عزلاء إلا من سلاحيها: الرجاء والاتحاد
بهما تصد الظافر ين ولا تصد ولا تصاد
وتقود أشتات الصعاب ولا يلين لها قياد
وتعاند الأسد الحصور ولا يطاق له عناد
تلقاه يوم تزلزلت من بأسه السبع الشداد
والأرض بين يديه طية عة الأعنة والوهاد

* * *

حيث يا يوم الجها د ولا سؤال بم الجهاد ؟
كلا . ولا من قائل أين الجحافل والجياد ؟
جمعت بلاد أمرها وكفى بما جمعت بلاد
وأراد سعد فأنبرى وطنه يحقق ما أراد
ما السيف في اليد غالباً إلا إذا غلب الفؤاد

* * *

حيث يا يوم الجهاد يوم الجهود والاجتهاد
يوم الكرامة والجلال د بل ، السلامة والسداد
كم عاقل في الاقتحان م وجاهل في الارتداد
ومحصّل فيما أضاع ع ، مضيع فيما استفاد

* * *

وطني سلت من الغوا ة ولا سلت من الرشاد
ما في الجهاد غواية إن الغواية في الرقاد
وطني خذلت الخناء بين ولا خذلت ذوى اعتقاد
ما في الصعاب خديعة إن الخديعة في المهاد
وطني تبينت المصا رح والمداحي في الوداد
ما في اللهب خبيثة إن الخبيثة في الرماد

وطني فررت من الهوا ن ولا فررت من الجلاذ
ما كل خطب يتقى أو كل أمن يستزاد
وطني . وما وطني عليّ بهين بين البلاد
ياليته مما يهو ن فأستريح «علي الحياذ» !

* * *

حاشا لمصر ولي وللسا دات فيها والسواد
إني نذرت لها دمي ومُني يضمن بها الجواد
وشرعت في ميدانها قلبي وإن نفد المداد
وعلمت أن لها غداً يرجي ، وأمس يستعاد

* * *

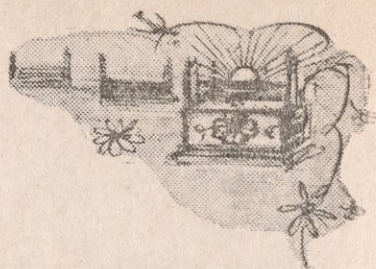
شبان مصر تزودوا لغد ، وبعد غد ، بزاد
أنتم حماة عرينها ولكم معاقلها تشاد
إن زاد غيركم العدا فرداً فلا كان اندياد
أوسدتم في أمة ذلت فقرحتها حداد
من ذا يسود وحوله وطن علي ضيم يساد
لا يخرجلن غد إذا ما حل من عيد الجهاد

إلى مهرجان السودان

يا جيرة المورد في الوادي كونوا هناكم مورد الصادي
صاد إلى الماء وصاد إلى علم لمن يطلبه هاد
هاد كما قد أسفرت شمسكم بساطع في الجو وقاد
لولا معاذيري لحياكم مني مطيف راح غاد
فإن أكن أوفدت شعري لكم فذاك عندي خير إيفاد
إلى اللقاء المرتجي في غد تحيتي للحفل والنادي (١)



(١) هذه الأبيات هي تحية صاحب الديوان إلى مهرجان الأدب الذي يقيمه أدباء السودان مرة في كل عام



في عالم الذكرى

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY

ثلاث عشرة حجة^(١)

مرّت بنا الأيام وثبأ سلباً كما شئت وحرباً
 لأحسننت حرباً ، ولا في السلم طاب السلم غباً
 ضمنت لجيشها معاً غصباً كما اشتها وغلباً
 فإذا الحوادث أقبلت أو أدبرت فالخلق نهى
 العام من أعوامنا يحوى - جزاه الله - حقبا
 وثلاث عشرة حجة قلبت طباق الأرض قلباً
 سلها عن الدنيا وما صنعت بها شرقاً وغرباً
 سلها عن الوادى وما صنعت به دفعاً وجذباً
 لاضير بالماضى إذا دار الزمان فطاب عقبي

* * *

فألا من الذكرى وكم قال طوى في الغيب حجباً
 وهداية منها وقد تهديك في الظلماء قطباً^(٢)

* * *

ياسعد يومك فاستجب قلباً لمن يدعوك قلباً
 جرّد عزيمتك التى أغنت عن الصمصام غرباً^(٣)

(١) ألفت من محطة الاذاعة المصرية في ذكرى وفاة سعد ، سنة ١٩٤٠

(٢) إشارة الى نجم القطب الذى يهdy في الظلام (٣) حدا

وابعث نصيحتك التي أغنت عن الترياق طبيا
وانشر فرائدك التي أغنت عن العقيان كسبا
هذا نذير الشربها وإلى حمى مصر اشربا
وسرت إلى إفريقييا عدوى الجهالة من أوربا
طمعوا بحوزة أمة ظنوا لها الغفلات دأبا
إن قيل لا خطر غفت عينا وتاهت عنه لبيا
أو قيل لا طمع فلا طمع وقرت مصر سربا
أو قيل يا أئمة انهمى نهضت وراحت مصر تأبى
تجرى المخاوف حولها وتخاله الأمن استبى

ياسعد أنت إمامها فاهتف بها ملاً وشعبا
صدع الشقاق صفوفها وجمعتها بالأمس حزبا
فاجمع جوانب رأيها شعباً على الحسنى فشعبا
قل أتممو أعلى يداً من عابدى الإنسان رهبى
ذلوا فلما استرسلوا تاهوا بقاء الذل عجباً
وإذا أتوا عدد الحصى فرمالكم أوفى وأربى
جذب من الصحراء أغلى من جيم الروض تربا
ظمان يشرب كل من يغرى بكم أكلا وشربا

وقل استعدوا واسلكوا في مفرق الحدّين دربا
لا تُصغروا هولا ولا تستكبروا الأهوال رعبا
وتبينوا أين الفريق الحر فاتخذوه صحبا
دار الذين سبّتهم حرية — هيهات تسبي
ضنوا بمصر على العدى وعلى الذى يحتال خبا
وحذار دعوى معشر لم يؤمنوا بالحق ربا
لأرحمة عرفوا ولا عرفوا لغير الشر حبا
القدوة العليا لهم وحش على العدوان شبا
عقدوا على البغى العرى تبت يد الباغى وتبا

يا آل مصر تذكروا سعداً ففى التذكار قربى
إنى استعرت بيانه فعلىّ إن قصرت عتبى (١)
إلا اللباب فإننى فى رأى ما أخطأت لباً
سعد إذا أمضى مضى وإذا دعاه الهول لى

(١) معنى البيتين أنى استعرت بيان سعد فان قصرت فى هذه الاستعارة فالتعب على .
أما لباب المعنى فلا تقصير فيه ، لأننى لم أخطئه

تحية زعيم راحل^(١)

أكبرت في غيب الزعيم محمد من كان يكبر حاضراً في المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيات ينتقص الزمان مجادة للسيد بن السيد بن السيد
نخر الصعيد، ونخر مصر جميعها بالرأى، والخلق القويم الأيد
من يرسل المثنى عليه ثناءه مسترسلاً في القول غير مقيد
جمع القلوب على المديح وإن مضت نهجين بين مصوب ومصد
لم تقض في هذى الديار قضية ومحمد مما قضوه بمبعد
ملء الندى وإن تطامن دقة كم دقة شذت مضاء مهند

* * *

في دارة الفلكي قبلة كوكب يعلو على رصد المنايا الرصد
تطوى المغارب جرمه، وشعاعه متألق في أوجه لم يخمد
أكبرت مطلعته، ولم يك طالعي في كل حين عنده بالأسعد
ورأيته أقصى وأقرب رؤية فإذا البروج لكوكب متوحد
مهما اختلفت حياه لم يختلف سمت السماء ولا علو المقصد

(١) أقيمت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الاربعين لوفاة المغفور له
محمد محمود باشا .

متحرّزٌ بما يعاب كأنه متقيّد المسعى ، ولم يتقيد
شفت سرائره ، فكل سريرة فيه تضئك من سراج موقد
فإذا عهدت المحض من عادته لم تلق يوماً منه مالم تعهد

عزّ الكنانة فيه فهي فجيلة تلو الكنانة في الضمير وفي اليد
مافي مروءات الشعوب مروءة إلا رعته بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه بين المحافل دون مالم يشهد
ومعاهد التعليم بين مشجع للعاملين بها ، وبين مزوّد
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ سرداً ، فعدد ما بدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هدايةً للبهتدين ، وقدوة المقتدى
وصراحة الأخلاق ما شملت على مستغلق فيها ، ولا متأوّد
والعزة الشماء إلا أنها كالشاهق المخضر لا كالجلد
وسياسة الوادى ، ولم يك راجحاً منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لا تكره الشورى وإن كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استقردت كالقطب ، عزت في ازدواج الفرقد

عز الكنانة والعزاء ليعرب ما بين مئهم قومه والمنجد
كم زاد عنهم والخطوب بمرصّد والشمل بين مشرّد ومبدد

للحق ، لالخبيثة مطوية تلقى العداة الرابضين بموعد
ولنصرة الإسلام لالعصاة تسعى إلى الإسلام سعى المفسد
سمح على مافيه من عصبية سهل ، وإن أعْي قوى المتشدد
لايستطاع على الخصام عناده وعليه تعويل الأخ المتودد
من اكسفورد ، ولو نماه معشر للأزهر المعمور لم تستبعد
فيه محافظة ، وفيه طراقة وأراه في الحالين غير مقلد
ورث الحمية كبراً عن كابر والأريحية منجدا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما سقياه من أصلية أعذب مورد
فاذا بكت مصر فغير ملومة وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

رحم الإله محمداً وأثابه في خلدته الباقي ثواب مخلد
كان السبيل السرمدي سبيله فعليه رضوان الإله السرمد

=====

على قبر إبراهيم^(١)

«... إنا لمحزونون عليك يا إبراهيم ، وإن ما أنا قائل لا يسر ما يقال
في هذا الموقف الأليم...» :

يا قبر إبراهيم مالى بالبيان هنا يدان
بل فيك تنطلق العيون وفيك يتعقد اللسان
ما كنت أحسب أننى ألتقاك فى هذا المكان
يا من حملت إليه أكرام ما يعز ، وما يسان
جثمانك العف الطهو ر وقلبك الجم الحنان
وجبينك السمع الذى ما هان قط ، ولا أهان
وعزيمة لم يثنها غير الأمانة من عنان
حزنى عليك أبا خليل ليس يمحوه الزمان
وجميل ذكرك فى فنى وجميل صنعك فى الجنان
ماذا أقول ؟ ومن يعين على رثائك ، أو يعان
أغناك فضلك ناطقاً بالصدق عن نطق البيان
فعليك سابغ رحمة ونعيم خلد راضيان
وسلام ربك عاطراً وسلام قومك مجمعان

(١) ألقيت على قبر السرى الكبير إبراهيم عامر باشا يوم وفاته ، وكان رحمه الله مثلاً
لعلو الهمة ومكارم الأخلاق

آه من التراب^(١)

أين في المحفل «مى» يا أصحاب ؟
عودتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجنب
مستجيب حين يدعى مستجاب
أين في المحفل «مى» يا أصحاب ؟

* * *

سائلوا النخبة من رهط الندى
أين مى ؟ هل علمتم أين مى ؟
الحديث الحلو واللحن الشجي
والجبين الحر والوجه السنى
أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟

* * *

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة

أسف الفن على تلك الفنون
حصدتها، وهي خضراء، السنون
كل ما ضمته منهن المنون
غصص ما هان منها لا يهون
وجراحات، ويأس، وعذاب

شيم غرّ رضىات عذاب
وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاء المعى كالشهاب
وجمال قدسى لا يعاب
كل هذا فى التراب. آه من هذا التراب

كل هذا خالد فى صفحات
عطرات فى رباهها مشمرات
إن ذوت فى الروض أوراق النبات
رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب

من جناها كلَّ حسن نشتهيه
متعة الألباب والأرواح فيه
سائغٌ مِيزٌ من كل شبيهه
لم يزل يحسبه من يجتنيه
مفرد المنبت معزول السحاب

* * *

الأقاليم التي تنهيه شتى
كل نبت يانع ينبج نباتا
من لغات طوّفت في الأرض حتى
لم تدع في الشرق أوفى الغرب سمتا
وحواها كلها اللب العجائب

* * *

بالذاك اللب من ثروة خصب
نير يقبس من حس وقلب
بين مرعى من ذوى الألباب رحب
وغنى فيه وجود مستحب
كلما جاد ازدهى حسناً وطاب

* * *

طلعه الناضر من شعر ونثر
كرحيق النحل في مطلع فجر
قابل النور على شاطئ نهر
فله في العين سحر أى سحر
وصدى في كل نفس وجواب

* * *

حىّ «مياً» إن من شيع ميا
منصفاً حيا اللسان العريا
وجزى حواء حقا سرمديا
وجزى ميا جزاء أريحيا
للذى أسدت إلى أم السكتاب

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذى صاغته طبعاً واكتسابا
والذى خالته في الدنيا سرايا
والذى لاقت مصابا فمصابا
من خطوط قاسيات وضعاب

* * *

أتراها بعد فقد الأبوين
سلمت في الدهر من شجوة وبين
وأسى يظلمها ظلم الحسين
ينطوى في الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كالشمع المذاب

أتراها بعد صمت وإباء
سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كل ما فيه رياء
وعداء كل ما فيه افتراء
وسكون كل ما فيه اضطراب

رحمة الله على «مى» خصالا
رحمة الله على «مى» فعلا
رحمة الله على «مى» جمالا
رحمة الله على «مى» سجلا
كلما يُسجل في الطرس كتاب

تلكم الطلعة ما زلت أراها
غضة تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضاءت في سناها
وفروع تنهادى في دجاها
ثم شاب الفرع والأصل، وغاب

غاب والزهرة تؤتي الثمرات
ثمرات من تجارب الحياة
خير ما يؤتي حصاد السنوات
بعثرتهن الرياح العاصفات
ورمتهم تراباً في خراب

ردّ ما عندك يا هذا التراب
كل لب عبقرى أو شباب
في طواياك اغتصاب وانتهاب
خلقاً للشمس أو شم القباب
خلقاً لا لانزواء واحتجاب

ويك ! ما أنت برادّ مالديك
أضيع الآمال ما ضاع عليك
مجد « مي » غير مو كول إليك
مجد « مي » خالص من قبضتيك
ولها من فضلها ألف ثواب

عام محمد^(١)

جحد العهد بعد عام محمد
تلك ذكرى على المدى تتجدد
خلق لا يزال قدوة جيل
بعد جيل، أخلق به أن يخلد
بل طراز من المكارم باق
كلما عده الكرام تعدد
ومعان غراء هيات تحصى
كشمار الفردوس هيات تنفد

(١) ألفت في الذكرى الثانية بعد انقضاء عام لوفاة المغفور له محمد محمود باشا رحمه الله

إنما يذهب الزمان فقيداً
إن تقضى الزمان لم يُتفقَد
ليس يُفنى الزمان من كلها عس
حس ليل سمعت: أين محمد؟
أين من كان رحمةً وهو بأس
أين من كان أمة وهو مفرد
أين من كان للساكنين عوناً
وله في ذؤابة المجد مسند
أين من كان منية المستمى
في مغيب من الوداد ومشهد
أين من عوّد الإباء صيباً
ولكل من دهره ماتعود
أين من كلها تقلد أمراً
صان في جيده عرى ماتقلد
أين من كان مرجع القوم فيما
صدع العزم أيدياً فتبدد
أين من كان قولهم فيه شتى
والطوايا في وصفه تتوحد

أين من كان قائداً وهو فيما
تتقيه جندي مصر المجند
سألوا أين أين ؟ وهو قريب
منهم في جواره غير مبعّد
هو في كل معهد يترأى
هو في كل مسمع يتردد
هو فيهم وقد تغيب عاماً
لا يرى قاصداً ، وإن كان يقصد
رب دان مجسد لانه
وبعيد نراه غير مجسد

* * *

مصر ياأمة الخلود المشيد
والوفاء الذي رسا وتوطد
أنت في نعمة وخير عميم
ماتعهدت خير مايتعهد
لك في الذكريات كنز رجاء
أبد الدهر بابه ليس يوصد
فاذكرى الغابرين وادخريهم
لغرار ينضى وعزم يشدد

إنهم مهدوا الطريق ولولا
خطوهم فيه لم يكن بالمهد
اذكري كلما بلغت زهيدا
من أمانيك أنه كان أزهد
واذكري كلما بلغت عظيما
إن جهد المصري في المجد أجهد
إن ماضاء كان بالأمس ظلما
وما ابيض كان بالأمس أسود
والذي في يدك كان سرايا
زمناً ثم صار يُجنى ويحصد
وارقي العالم المطل علينا
من غد . إنه جنين سيولد
الحروب التي تضيح وغازها
هي نجوى مخاضة تتصعد
إننا في يديه لعبة لاه
إن جحدناه أو حسبناه يُجحد
مامضى من زماننا أو سيأتى
في يدى ذلك الجنين سيحشد

الجنين الموعود لا تجهلوه

يا بني مصر فهو للجهل مُرصد

هو حي، إن لم يكن قد تسمى

باسمه في قرابه فكأن قد

فاجمعوا عدة من الأمس ترضى

واجمعوا عدة من الغد تحمد

أنتم في كنانة الله أهل

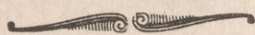
إن تصدوا السهام وهي تسدد

ولكم من صيانة الله شروى

ماتصونون من نثار وسؤدد

كل حق لكم فغير مضاع

مارعيتم حقاً لمثل محمد



الشهيد معاوية

... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السوداني النابغ معاوية
محمد نور ، وقد لقي نصيباً من سقامه وعوجل رحمه الله في ريعان صباه
دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربي بأمل كبير لم تنجزه المقادير
وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى في يوم تأبينه ، عوض
الله الأدب فيه خير العوض ، وعزى الأدباء أحسن العزاء :

أجل هذه ذكرى الشهيد معاوية

فيالك من ذكرى على النفس قاسية

أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه

ولا يوم تكريم ، ودنياه باقية

فما أقصر الدنيا التي طوّل الضنى

أصائله فيها ، وأشقى لياليه

وما أضيع الآمال آمال من رأوا

مطالعته في مشرق النور عالية

ومن أيقنوا أن الهلال الذي بدا

على الأفق أخرى أن يعمّ نواحيه

بكائي عليه من فؤاد مفعج
ومن مقلة ما شوهدت قط باكية
بكائي على ذاك الشباب الذي ذوى
وأغصانه تختال في الروض نامية
بكائي على ما أثمرت وهي غضة
وما وعدتنا، وهي في الغيب ماضية
فضائل منها نخبة أزهرت لنا
لماماً، وأخرى لم تزل فيه خافية

* * *

تبينت فيه الخلد يوم رأيت
وما بان لي أن المنية آتية
وما بان لي أني أطالع سيرة
خواتيمها من بدئها جدّ دانية
وأن اسمه الموعود في كل مقول
سيسمعه الناعون من فم ناعية
أجل هذه ذكراه يانفس فاذكرى
فجميعتنا فيه ، وما أنت ناسية

أجل هذه ذكراه ياعين فاذرفي
عليه شآبيب^(١) المدامع دامية
إذا قصرت أيام من نرتجيم
فيا طول حزن النفس والنفس راجية
وياطول حزن النفس وهي منيية
إلى اليأس من عجز بها ، وهي آية
فيا يوم ذكراه سنلقاك كلما
رجعت إلينا ، والضمائر صاغية
ويا عارفيه لا تضنوا بذكره
ففي الذكر رجعي من يد الموت ناجية
أعيروه بالتذكار ماضن دهره
به عيشة في مقبل العمر راضية
وزيدوا النفيس النزر من ثمراته
بتكرارها في القلب أولى وثانية
فإن لم تكن في العد كثرأ فباركوا
معانيها حباً ، ووفوا معانيه
عليه سلام لا يزال يعيده
وييده شاد في الديار وشادية

(١) جمع شؤبوب وهو دفعة المظر

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر (١)

ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق في تاريخه ،
الملبس الماضي لباس الحاضر
النقاد الأنباء نقد صيارف ،
الوازن الآراء وزن جواهر
المستعين على السياسة بالحجي
والعلم ، والقلم القوى القاهرة
والحجة العليا التي ما طأطأت
يوما لمنتقم ولا لمناظر
الدارس الأيام درس مجرب
يلقاه باطن سرها كالظاهر
الصابر المزجي الخطوب بصبره
حتى يزلزل ، ونعم أجر الصابر

(١) هو فقيه الكتابة والصحافة المرحوم عبد القادر حمزة باشا صاحب « البلاغ »

البازل الدنيا على علم بها
في اليسر والإعسار ، بذل مسافر
المستعز بوحدة الأسد الذي
يأبى التجمع في القطيع النافر
الراسخ الجرم الوقار ، بغير ما
عنت يصيب ملالة من زائر
الصامت النزر الكلام بغير ما
حصر يعيب ، ولا كلاله خاطر
الوادع السهل الطباع بغير ما
سلس لباع ، أو مهابة أمر
الصاحب المبتقى على أصحابه
مابين واف منهم أو غادر
الوالد البر الرفيق بولده
وبآله رفق العليم الشاعر
الشائر الوطني في ميدانه
عجبي له من مستقر نائر
الصارم الماضي السلاح وعنده
بعد ارتداد السيف عتي عاذر

عرف الحقائق فاستراح جنانه
من سرعة الشاكي وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره
بغضاً لمعتقد ولا لمكابر

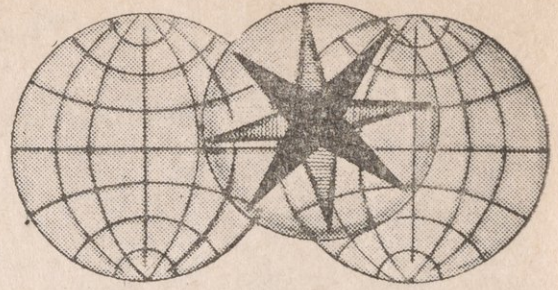
على به علم المطالع زاده
علم على بعد، وعلم معاشر
كم مرّ من يوم ضحوك بيننا
أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معاً على علائها
متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معاً في حلبة
عزت على غير الطمر الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا
نعم العتاد لذاكر ولعابر
ذكرى القشيب من الشباب تزينها
ذكرى المشيب من الجهاد الظافر

عهدان من عمرين لو نُسجا معا
لم تدر أيهما مكان الآخر

* * *

يا يوم منعاه سبقت بمنذر
في الصدر من وحي الهواجس صادر
يوم لمست النحس قبل صباحه
وطويت فيه على الهموم ضمائري
ومشى النهار إلى منقبض الضحي
كالليل ، مشية مستكين عاثر
محيوت فيه فحين زالت حيرتي
زالت بأفدح من ظنون الحائر
بذهاب نابغة ومصرع غالب
وختام عهد بالعظائم عامر
وفجعة لا كالفجائع في أخ
وزميل أقلام وصنو منابر
تمضي السنون وفي الصحائف صفحة
تبيض نخرأ ، وافتقاد محابر

ما كان خط مداده في طرسها
إلا يياض جبينها المتباشر
أسفى عليها وهى لابسـة له
ثوب الحداد من اليباض الشاغر
وعزيزة للنـابغين نظائر
فى الشرق تتلى بعدهم بنظائر
فإذا بكى الباكي عليه فأنما
يذرى الدموع على عزيز نادر
وإذا جزيناه الوفاء فبعض ما
وفى الحقوق لحاضر ولغابر
إن الذى حفظ العصور بذكره
حق له ذكرى الشاء العاطر
وتراث عبد القادر الباقي لنا
فيه « البلاغ » لقارى ولذا كر



هنا وهناك

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY

تفسير حلم

مهداة إلى صحيفة النيل الغراء بالخرطوم

تفسير حلمي بالجزيرة^(١) وقفني في المقرن
حلمان حظهما خيا لا دون حظ الأعين
مادمت بينهما فما أنا سائل عن مسكني
وإذا التذكر عاد بي عطف الجديد فردني
ياجيرة « النيل » المبا رك : كل نيل موطن
وله سمي في الصحا فة معرب لم يلحن
حيث فيه سميته وحمدت فيه مأمني

(١) إشارة إلى جزيرة مصر المشهورة والمقرن هو حديقة بالخرطوم في موضع الاقتران

صوت السودان

صوت^(١) من السودان أس معنى بمصر فسرني
تهفو له الأسماع صا غية ولم يستأذن
فيه بشاشة وامق ومبشر ومؤمن
لولا حفاوته الكريمة ما علمت بأنني^(٢)
فارقت من مصر الجديدة ذات يوم مسكني
شكراً له صوتاً تبَّين من لسان بين
مستلهم لغة القلوب مترجم بالأعين
شمل العروبة كلها وسرى إلى فخصني
ماذا أقول وقد سبقه بكل قول ممكن
قدم العهود أحبَّ لي من بدعة المتفنين
من كان ديدنه الصناعة فالسليقة ديدني

(١) إشارة إلى صحيفة صوت السودان الغرام من أكبر صحف الخرطوم

(٢) هذا الوصل لا يرضاه العروضيون ، ولا تجرى على مذهبهم فيه

شعر الأسود

كم هازل بالشعر جهده
يهذى به ويعاف جده
ما الشعر للنسناس رحده
كم ألهم التبيان أسده

القمر والظلام

لا أوثر القمرء فى حسها
على الدجى ، والطرف فيه يحوم
سناك يابدر يرى الثرى
وظلمة الليل ترى النجوم

صداح الأثير^(١)

ملاً الآفاق صداح الأثير
لا فضاء اليوم . بل صوت ونور
لك من كل فضاء شاسع
حيثما يمتد ، داع وبشير
ما صفاء الجو إن قششته
غير إصداء حوالبك تمور
لجب لئكنه مستأذن
يطرق السمع بسلطان قدير
أو هي الأرواح إن قلت احضري
حضرت ، أو شئت أعيائها الحضور
قل أمواج . فقلنا وبحور
من معان وبيان وشعور
تركب الألباب فيها سفناً
سبّقا بين طويل وقصير

(١) لقرحت محطة الاذاعة المصرية موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها

حملت من كل زاد ، وقرت
كل غاد ، ووعت كل أثر (١)
ولها في كل يوم مدد
يلتقي الأول فيه والآخر

كان فرعون له مجلسه
وهو ذو الصرح المعلى والسرير
ولنا في كل دار مجلس
يسع العالم أيا ن يدور
هو ناد لك ، أو مدرسة
أو مجال السبق ، أو ملهى السرور
غلب الوهم الذى زينه
فى الأساطير خيال مستطير
دعوة المارد إن قيست إلى
دعوة المذيع ظن وغرور
بورك العلم لعمرى إنه
من صفات الله ، والله قدير

(١) الأثر هنا بمعنى المأثور وهو المفضل المتقى

ربما أسمعنا في غمسه
نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

مسمع العالم في عاصمة
تسبح الدنيا إليها وتطير
لا يقرّ الدهر إن مادت فإن
سكنت فالدهر حولها قرير
بنيت حيناً على البأس وما
رصدته اليوم إلا لمغير
جمعت أوصالها حرية
يستوى فيها قليل وكثير
وخصيم الأمس من أعدائها
هو في معمعة اليوم نصير
كلهم ، والأمر شورى بينهم ،
مستجير في حماه ومجير

عامك الثالث أم شرخ الصبا ؟
أنت في مهدك جبار جسور

لست بالحبو خبيراً إنما
أنت بالوثب على الأفق خبير
راكبُ الريح إذا قيس إلى
خطوك الوانى سلحفاة كسير
حدث الدنيا حديث الضاد من
ساحة رتلّ فيها شكسبير
وأعده سارياً حيث سرى
زمناً في مغرب الشمس المنير
طالما رنت على آفاقه
نعمات من نظيم ونثير
من ربي أندلس حينا ومن
قم الأطلس حيناً والشغور
هاتها في نسق موصولة
يلتقى « بيرن » فيها وجير

تناقل السر . وما أعجب —
في رحاب الكون من سر جهير

تسمع القطبين ضدين كما
يسمع النجوى سمير من سمير
عصب الأنساب ياهذا الأثير
أنت في الأرض ، وفي الكون الكبير
كلنا في رحبه عائلة
حين تسرى أنت أو حين تسير
تنظم القربي على طول المدى
من ذرى الشعري إلى قاع البحور
عجبي من عالم تجمعه
أذن — كم فيه من قلب نفور !
قل حديث الحرب والسلام معاً
رب حرب هي للسلام عبور
أنت بالصدق كفيل أن ترى
أمم الأرض إلى الحق تصير
يملك اللب حليفا راضيا
من له في دولة السمع سفير

إلى المستمع العربي بلندن^(١)

دعوت إلى حق وأسمنت واعياً
فحيث مدعوا ، وحيث داعياً
وآثرت للعرب اللسان الذي به
تنزل وحي الله للعرب هادياً
وناديتهم من جانب الغرب مثلهم
فتى عربياً واضح الصوت عالياً
أصاخوا فلم يستنكروا القول عجمة
ولم يسمعوا منه لساناً مداجياً
إذا الحر ناجى الحر فليلق قوله
صريحاً ، ولا يومئ إليه موارياً
على ذاك يمضى « اللندنى » محدثاً
فيصغى إليه « القاھرى » موالياً
ويصغى ابن بغداد إليه محدثاً
وينقل عنه شعب مكة راوياً

(١) أذيعت في مطلع العام الثانى لمجلة « المستمع العربى » التى تصدرها محطة الاذاعة العربية
بالعاصمة الانجليزية

وفي جلق^(١) واع ، وفي القدس شاخص
وفي برقة شاد يجاوب شاديا
حقائق في شرق البلاد وغربها
يساجل فيها الحاضرون البوادي
يؤلف شملهم على البعد أنهم
أبوا أن يطيعوا في سوى الحق راعيا
وأنهم للظالمين بمرصد
طغاة على من يحكم الناس طاغيا
وأن الذي أوصى به الشرق بادئا
تواصى به الأحرار في الغرب تاليا
فيالك من حرية جمعتهما
إلى نسب عال عليه تلاقيا
وما عصابة الأحرار إلا أخوة
إذا اشترك القطبان فيها تأخيا
فلا جاور الشرق امرؤ يصطفى له
عدوآ لآمال الشعوب معاديا

(١) اسم من أسماء دمشق

ولا زال هذا الشرق بالحق آمراً
ولا زال هذا الشرق بالحق ناهياً

إلى «مسمع العرب» الكرام تحية
أحيي بها عاماً من العمر ثانياً
أرى لك في سن الفطام شبيبة
تسابق في العام القرون الخوالي
والمح من بشراك طالع مولد
تلاقيه أبراج السعود حوانيا
سبقت ركاب النصر حتى كأنما
خفت لتلقاه على القرب آتيا
وأتممت حولا واحداً فتحوّلت
مخاوف أقوام فلاحت أمانيا^(١)
فإن شئت كن فألا ، وإن شئت هاتفا
إذا أسمع الضليل أقبل ناجيا

(١) اتفق في إبان الاحتفال بعام المجلة الثاني إن تحولت كفة النهر إلى جانب
الدول الديمقراطية

تبليت الأسماع حينا ، وأطبقت
صروف قضاء ظنه القوم قاضيا
وهيات ما كان الرجاء مغيبا
لمن رامه ، كلا ولا الأمر خافيا
يقيني الذي لم يطرق الشك سمعه
سحابة يوم أن للحق واقيا
وأن الذي خالوه صرعة هالك
نذير إذا ما اشتد أيقظ غافيا
وقد هجر الغافى المضاجع فانظروا
على الساهر الجهد المكتم باديا
توثب للعدوان فليمض واثبا
على غرة منه لينقض هاويا

* * *

إلى مسمع العرب الكرام نبوءتى
فسلنى غدا عنها ، وما أنت ناسيا
سيدبر شر كان بالأمس مقبلا
ويقبل خير كان بالأمس نائيا

ويصعد نجم العرب في الشرق ساطعا
ونجم جليف العرب في الغرب ساطيا
كفيلي بما أنبأت صدق روية
ترى الغد من مستقبل الدهر ماضيا
فلا انخدعت ، والحمد لله ، ضلة
ولا خدعت يوما وفيا موافيا
غداً ، فانتظرنى باليقين إلى غد
وهاك التحايا قبله والتهانيا

بين التعب والراحة

قال المعري :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد
ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد !
ما ابتغاء المزيد من يوم أمنٍ عاطل لا يزد بالتعداد
فالزمان المريح تكرر شيء واحد وأطراد حال معاد

هذا هو التاريخ

من جانب القبر لسان بدا يكذب ماشاء ولا يستحي
هذا هو التاريخ لو أننى صورته يوما على المسرح!

النقد

أعطيتهم لؤلؤا حرا فحين رأوا
صغيرةً منه صاحوا : أى إفلاس !
وجادهم بالحصى غيرى فحين رأوا
خُرِيزَةً فيه قالوا أكرم الناس

الظن

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا
وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألف عين ، وإن تشأ
فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

رأى الناس

من عود الناس خيراً طال بوجهه كأنه الدين يُلوى بالمعاذير
ومن تعقبهم شراً فأملهم يوماً تقبل منهم أجر مشكور
لأراى للناس فى نفع ولا ضرر وما لهم قط من حكم وتقدير

بين هم وسامة

أتهتم بالدنيا؟ فتلك حبيبة إليك فما تخليك يوماً من الهم
أليس لها هم؟ فهاتيك خلة (١) صداقتها أضنى من الهم للجسم
وما بين هم دائم أو سامة خيار لمختار وحكم لذى حكم
نفذها على علاقتها والى عيشها شقياً بعلم، أو شقياً بلا علم

(١) الخلة هى الخليفة والصديقة

الطيش والحزم

الطيش أن تعمل ما تشتهي ...
وقد يساوى النفع فيه الضرر
والحزم أن تحذر ما تتقى
وقلها يغنيك فيه الحذر
كفؤان إن وازنت حظيهما
يا صاح . فاختر منهما ما حضر !

يا كتي

في ختام الجزء الاول من الاجزاء الاربعة المجموعة في مجلد واحد
قصيدة بهذا العنوان جاء منها هذه الايات :

يا كتي أشكو ولا أغضب
مأنت من يسمع أو يعتب
يا كتي أورتني حسرة
هيات لاتنسى ولا تذهب

يا كتي البست جلدی الضنى
لم يغن عنى جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها
سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى الملح تحت الدجى
جماجم الموتى بدت تخطب (١)
والناس إما غارق فى الكرى
أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه
فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله
بـيومه الماضى وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتنى
وأنت لاجدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى
وخبرة صاحبها متعب

(١) السكتب فى الغالب موتى يتكلمون فاذا فرأت فيها فكأنك تصغى إلى جماجم تتكلم

وختمت القصيدة بهذا البيت :
لأرحم الرحمن فيمن مضى
من علم العالم أن يكتبوا

والقصيدة الجديدة في هذا الديوان تشير إلى تلك الآيات بما
ورد فيها من المقابلة ، وهذه هي :
شكوتها والعمر في فجره
فكيف بي لما دنا المغرب ؟
لما دنا المغرب صالحتها
تلك التي تشكى ولا تغضب
تلك التي قلت لها مرة
والقلب دام والحشا ملهب
« يا كتي أورثتني حسرة
هيهات لا تنسى ولا تذهب »
« يا كتي ألبست جلدی الضنى
لم يغن عنى جلدك المذهب »
فالآن يا كتي تعالى لمن
أخبت شيء عنده طيب

ما أنت شر من عناء المتى
وهى التى فى صدقها تكذب
ما أنت أقسى من شقاء الهوى
وهو الذى فى لهوه يتعب
ما أنت أغلى ثمنا ، إن غلا
من جوهر يـكـنـز أو يعطب
ما أنت فى سكر وفى متعة
أخلى من السم الذى يشرب
ويحك ! إنا نحن من معشر
يسبق فىنا « الدور » أو يعقب :
غداً سنمسى كنا مالنا
فى العيش إلا رفك المترب
فليت لى إذ أنا تحت الثرى
جمجمة ثرثرة تخطب
رهطاً من القراء يرضوننى
رضاً عن بلواك إذ أغضب
يا كـتـي ما شئت فلتحسبى
أو شاء قرأئ فليحسبوا

عجز أو قدرة

علميني كيف لم تضطربني
بين أسماء الأفاضل والأداني
أنا لو لاقيت أخرى مرة
خفت أن يخلط باسمين لساني
الغواني في حجاب دائم ...
عبث كل سفور للغواني
قدرة فيهن أم عجز طغي
أم هما في لحظة مجتمعان ؟
من فناء الغيد في حاضرها
نسيتها من غاب عنها كل آن



جواب جميل

قال جميل بن معمر صاحب بثينة :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا

أسألكم هل يقتل الرجل الحب ؟

وأجيب بلسان أحد النوام :

بربك دعنا راقدين فلو درى

بنا الحب لم يرقد لنا أبداً جنب

وسل راقدى الأجداث عنه فإنهم

مجيوك عن علم بمن قتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا

أسألكم هل يقتل الرجل الحب ؟

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مزعج الموتى فلو كنت قادراً

على أن تهب اليوم من صرعة هبوا

ولست إلى أن يُسمع الصور سامعاً

هنا سر مقتول ييوح به صب !

الفقير

ثروة المرء بما يطلبه لا بما يملكه بين يديه
مالك الأرض فقيرٌ إن رعى مطلباً يطمح بالعين إليه
والذى أفقر منه طالب ودّ قلب ماله ودّ لديه

ويلنا

من غلا عنده السرور رخيص
كاسد السوق في كبار الأمور
والذى يستحق كل سرور
عجبا يزدري بكل سرور !
إن غلا عندنا النعيم رخصنا
ويلنا ويلنا بدار الغرور

سيان

إن قيل بالحق أو البهتان
دعهم يقولون ، وقل سيان !
سيان مهما افترق الضدان
سيان مهما اختلف الخصمان
سيان ألفٌ هي أو ألفان
سيان يده هي أو مغان
سيان نور أو ظلام فان
سيان من يلهو ومن يعانى
قلها ببرهان ولا برهان
وأنت أنت أحكم الزمان
وإن تصدوا لك بالنكران
أو ضحكوا سخراً فقل سيان !

أتمنى

أتمنى يوماً لو أن حياتي تنقضى كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمني لو تعلمت كيف أن أتمنى
أتمنى لو علمتني الليالي باطل الأمر قبل أن أتمنى
منية لو تحققت لتساوى ما تملكته وما أتمنى

الصرف والمزيج

رب ما بالنا نغص بأحلى
ما شربنا وفيم يارب يحلو ؟
رب والعيش فيه حلو ومر
لم لا يحضن والأمر سهل ؟
لم لا يصفوان فالشهد شهد
حين يعطى العباد والخل خل
إن خلا يشوب شهداً ضلال
ولشهد يشوب خلا أضل !

خداع النفس

يقول وما قضى عجباً قى يخطب في حذسه
أخدع نفسه رجل له عينان في رأسه ؟
أجل يا صاح : عينان ! وزد ما شئت من حسه
وهل أخدع الإنسان ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود وقاك الله من دسه

كيمياء وصير في

قال ابن الرومي :

إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلبا أحاله إنسانا
ولم يقل :

إن للحظ صيرفيا أربيا يقتني كيمياءه أحيانا

جنة الخيام

رغيف خبز ووجهه حلو ، وكأس مدام
وتلك جنة عدن في مذهب الخيام (١)

* * *

قالوا : ونودی يوما ما تشتهي في يديكا
دع مطلبها منه فردا والباقيان ليدكا

* * *

فخار بين رغيف إن فاته مات جوعا
وبين وجه منير إن غاب غابت جميعا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداع منهاها أفاق وهو غبين

* * *

طال التردد فيها فما لها كظيما
سألت جنة خلد وما سألت جحيما

(١) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسي وله راعية بهذا المعنى

قالوا فناداه صوت يقول في غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق

« أتلك جنة خلد تهذي بها يا حكيم
بمطلب إن عادها ترتد وهي جحيم ؟ »



بيجو

«... صور كثيرة بقيت في خلدي من الاسكندرية كأنها
صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ
وستبقى ما قدر لها البقاء
وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق
ضعيف أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء وذلك هو صديق «بيجو»
الذي فقدناه هناك .

وإني لأدعوه صديق ولا أذكره باسم فضيلته التي ألصق بها
الناس ما ألصقوا من مسبة وهوان ، فإن الناس قد أثبتوا في تاريخهم
أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك بصناعة
التحقير .. فكم من مبجل بينهم ولا حق له في أكثر من العصا . وكم
من محقر بينهم ولا ظلم في الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار .
وكنت أقدر أني سأخلو من العمل في مجلس النواب ثلاثة
أشهر الصيف الجديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء في

مرسى مطروح ، أو في السلاوم وأفرغ هناك لتأليف كتابي الذي جمعت له ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين والمحدثين . فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضي أياما في القاهرة وأياما في الاسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو في الرحلة الأولى ولا في الرحلة الثانية ولا عزمت على اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامي في القاهرة وأن أعود إليه كل أسبوع . ولكن المخلوق الأمين الوفي أرغمني على مصاحبته كلما ذهبت إلى الاسكندرية وكلما رجعت منها . لأنه صام عن الطعام صومة واحدة في الرحلة الثانية . وزاده إصراراً على الصيام أننا كنا نتركه في كفالة الشيخ أحمد حمزة طاهينا القديم الذي يعرفه قراء كتابي « في عالم السدود والقيود »

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يكثّر الصلاة والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يقربها إلا على مسافة أشبار . ويبجو مخلوق حساس مفرط الإحساس ماهو إلا أن تبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مشله أو أشد وأقصى ، فكنا إذا تعمدنا تخويفه وزجره نادينا : « يا شيخ أحمد ! فإذا يبجو تحت (١١)

أقرب كرسى أوسرير ، ثم لا يخرج من مكانه إلا إذا أيقن أن الشيخ
أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد .

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام
في غيابنا أصبح ييجو من ركاب السكة الحديد المعروفين في الذهاب
والإياب . وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الاسكندرية ومن
الاسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع . وشاعت له نوادر في معاكسته
للموظفين ومعاكسة الموظفين له يتألف منها تاريخ وجيز . ثم أصابه
في الاسكندرية ذلك المرض الأليم الذى كان فاشيا فيها واستعصى
علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته في مرضه مخافة عليه من مشقة
السفر وعلت أن الأمل في شفائه ضعيف ، ولكنى لم أجد مكانا
أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه

وإنى لنى ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهممة على باب
حجرتى وخذش يكاد لا يبين . ففتحت الباب فرأيت المخلوق المسكين
قابعا فى ركنه يرفع إلى رأسه بجهد ثقيل . وينظر إلى نظرة قد جمع
فيها كل ما تجمععه نظرة عين حيوانية أو إنسانية من معانى
الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار . أحس المسكين وطأة الموت

فتحامل على نفسه وخطا من حجرته إلى باب حجرتي وجلس هناك
يخدش الباب حتى سمعته وفتحت له وهو لا يزيد على النظر والسكرات
كان اليوم يوم أحد . ولكننا بحثنا عن الطبيب في كل مظنة
لوجوده حتى وجد، وشاءت له مروءته الإنسانية أن يفارق صحبه وآله
في ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن مريضه
الذي تعلق به وعطف عليه، لفرط ما آنسه أثناء علاجه من ذكائه
وألأعيه ومداعباته . ولكنه وصل إلى المنزل وييجو يفارق هذه
الدنيا التي لم يصحبها أكثر من سنتين .

سيتبقى من صور الإسكندرية ما يبقى وسيزول منها ما يزول .
ولكني لأحسبني ناسيا ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل، يقول
بها كل ما تقوله عين خالقها الله ويودعها كل ما ينطق به فم بليغ من
استنجاد واستغفار . كأنه يعلم أنه أقلقني ولا يحسب ما كان فيه
عذراً كافياً لإقلاق صديقه

ومن شهد هذا المنظر مرّة في حياته علم أنه لا ينسى ، فإن لم يعلم
ذلك فهو أقل الناس حظاً من الخلائق الإنسانية ، لأن البعد من العطف

على الحيوان لا يجعل المرء بعيداً من الحيوان . بل يقربه منه غاية التقريب»

* * *

هذه كلمة من مقال نشر بمجلة الرسالة الغراء (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨) وفيها ما يصلح أن يكون مقدمة للتصيدة التالية . ولكنها مقدمة تفتقر إلى تنمة من مقال آخر نشر في الرسالة أيضاً بعنوان «كلى ييجو» قبل ذلك بنحو عام . وهذا هو المقال :

«..... أنا أكتب هذا المقال عن «ييجو» وهو ينظر إلى شئ يذهب ويعود ليطل مرة أخرى ، ولا يدري أنى أكتب عنه وأشيد بذكره . وكل ما يدريه أنى جالس فى هذا المكان الملعون الذى يحب كل مكان فى البيت غيره . وهو كرسى المكتب .

ففى كل مكان فى البيت يرانى مستعداً لملاعبته واستجابة نظراته والتفرج على فنونه وألأعييه وقفزاته . أو يرانى مستعداً للإشارة إليه واستدعائه فإذا هو واثب وثبة واحدة إلى حيث يستوى على مكانه بجانبى ، ويغربنى بملاطفته ومجاملته أن أبذل له الملاطفة والمجاملة

وأحبيه بعبارات التودد والمساجلة ... ينتظر منى ذلك فى كل مكان إلا
كرسى المكتب . فإذا جلست إليه لأكتب أو لأقرأ فهو حائر
لا يدري ما يصنع : يدنو من الكرسي إلى مسافة قصيرة ثم يرفع رأسه
وينظر ، ثم يعيد النظر ككرة أخرى . ولعله يسائل نفسه : ما بال
صاحبي لا يناديني ولا يحينني ؟ وما بال عينيه تتجهان أمامه وقلها
تتجهان ناحيتي ؟ فإذا طال عليه التساؤل والترقب رجع أدراج
وغاب هنيهة ثم عاد إلى المكتب يترقب كلمة النداء أو نظرة الاستدعاء
أولمسة الترييت والاحتفاء ، ولا يزال كذلك حتى يئأس ويسأم فيولى
وجهه شطر العوبة يتلهى بها أو شغلة أخرى من الشواغل البديعة
التي يفرضها على نفسه ولا يفرضها أحد عليه ، وأولها حراسة الباب
والعواء على من يصعدون السلم أو يهبطونه .

وقد تبغى اليوم إلى المكتب ونظر إلى قليلاً ثم غادر المكان
الملعون يائساً عابساً دون أن يلح فى الانتظار والمنورة . لأنه
تعلم بالمرانة الطويلة أن الانتظار فى هذا المكان لا يفيد . وأن الكلب
العاقل الرشيد هو الذى يغادر مكان الكتب والأوراق بغير تدبر
ولا تأمل ولا إطالة . والحق معه حتى فى آراء الأناسى العقلاء الراشدين
وقد أردت اليوم أن أدهشه وأخلف عادته فرفعت رأسى
من الورق فى بعض جيئاته وصحمت به منادياً : ييجو ! ييجو !

تعال ! إن كتابتي اليوم تعنيك . ألا تريد أن تقرأ ما كتبت ؟ فوجم ولم يكده يصدق أذنيه . وتردد لحظة ثم قفز إلى الكرسي فالمكتب حيث الورق الذي أخط عليه هذا المقال . كأنه يريد حقاً أن يقرأه ويستطلع ما فيه ، وكأنه لا يفضل بالعقل والرشد أولئك الآدميين الذين يعينهم مايكتب عنهم الكتاتيون كما ظننته لأول وهلة .

ولكنه مالبث أن أخافني من أسلوبه في القراءة والمطالعة . لأنه هو والتمزيق في عرفه شيء واحد ، وهل هو بدع في أسلوبه وهذا شأن كثير من الآدميين الذين أكتب عنهم ؟؟ ! فنحيته برفق وحملته إلى الباب وأرسلته في الدهليز وعدت إلى المكتب فأقفلته ، ولا أزال أسمع نباحه يلاحقني بلهجات تتراوح بين الاستغراب والشكاية والسباب !

ويجب أن أعترف للقراء بأن كلبى « بيجو » ليس بكملى على التحقيق ، ولكنه كلبى فى شريعة الدعوى والاغتصاب . أو هو كلب صديق العزيز « فيفى » الذى لم يجاوز السنتين إلا منذ شهرين . ولا إخاله إلا مطالبى به قريباً بعد أن زال الموجب لإقصائه وهو انحراف صحته فى موعد التسنين وفيما أصابه على أثر ذلك من مصاب أنقذه الله من خطره الشديد

والأصل فى المصائب أن تجمع بين الأصدقاء لا أن تفرق

بينهما كما افترق فيفي وصديقه ييجو . ولكن اللوم في هذا الافتراق على صداقة ييجو دون غيرها - أى على إفراطه فى الصداقة لآعلى تقصيره فيها - فمعاذ الله أن يتهم كلب بخيانة الأصدقاء .

كان ييجو يرى « فيفى » على سريره ساكناً من التعب والإعياء فلا يحسب أن شيئاً تغير بينه وبين مولاه . ويقفز إلى السرير ليعرض خدماته التى لا يكل عنها ولا يتوانى فيها وهى الموائبة والملاعبة واصطناع العض والمصارعة ومولاه فى شأغل عن ذلك ، ولكنه هو لن يقبل العذر ولن يعرف شأغلا أهم من تلك الخدمات المرفوضات .

وإذا أقبل الطبيب وصرخ « فيفى » من مقاربتة وجسه وفحصه كما يصرخ جميع الأطفال من جميع الأطباء فما هى إلا لحظة كأسرع ما يكون لمح البصر وإذا بأنياب « ييجو » توشك أن تنغرس فى ساق الطبيب الذى يعتدى على مولاه بما يسكيه ! أما إذا ربطوه اتقاء لهذه المفاجآت فلا راحة ولا قرار فى البيت كله لالمولاه العزيز ولا للنائمىن حوله أو الساهرين عليه

لهذا عوقب « ييجو » على إفراط صداقته بالنفى من جوار مولاه فى أثناء توعكه وانحراف مزاجه ، ورضيت أنا أن أتولى مؤاساته وحرصته أيام منفاه حتى تنجلي الغاشية فيعود إلى مأواه .

وما انتقضت فترة وجيزة حتى أصبح «بيجو» شخصية من شخصيات البيت المعدودة. وحتى فرض على نفسه واجبات وأعمالا لم يفرضها عليه أحد، ولكنه يغضب ويتذمر إذا أنت قاطعته فيها أو عوقته عنها، كأنك تحسبه مخلوقا عاطلا لا يصلح لعمل ولا يؤتمن على واجب ... عرف الفرق بين جرس التليفون وجرس الباب فلا يدق هذا أو ذاك إلا أسرع إلى الإجابة وغضب من الخادم كلما سبقه إلى غرضه، فتظاهر بعضه والوثوب عليه

ومن عجائب ذكائه أنه إذا سمع جرس الباب أسرع إلى الباب ولم يفعل كما تعود أن يفعل حين يسمع جرس التليفون. مع أن جرس الباب يدق في المطبخ حيث يكون الخادم ولا يدق في المكان الذي يجرى إليه. ولعله عرف أن فتح الباب هو المقصود بدق الجرس في المطبخ كلما جرى الخادم لفتحه على إثر سماع دقائه، ولكن تفريقه بين الجرسين براعة تشهد له بالقدرة على مزاوله الأعمال والواجبات ومن الأعمال والواجبات التي فرضها على نفسه ولم يفرضها عليه أحد أنه لا يدع إنساناً ولا حيواناً يصعد السلم إلا أدركه بنباح الاحتجاج من وراء الباب، فيعدو أمامي ويعود إلى ولا يزال يرقص ويتوثب حتى أجزيه على استقباله بالتحية الواجبة والتريت المحبب إليه. لأجل الطعام يهش لي «بيجو» هذه

الهشاشة ويرعاني هذه الرعاية ؟ أنا أود من الباحثين في طبائع
الحيوان أن يراجعوا ملاحظاتهم وأحكامهم في أسباب التألف
والمودة بين الحيوان والإنسان . فإن إطعام الكلب ولا شك
سبب من أسباب وفائه وتعلقه بأصحابه . ولكن لا شك
أيضاً في أن الكلاب تفهم للمودة أسباباً غير الإطعام وتدرک معنى
من معاني الصلة النفسية ليس مما يرتبط بالمنافع .

وأوضح دليل على ذلك أن « ييجو » يعتبر نفسه تابعاً لمولاه
« فيني » ولا يعتبر نفسه تابعاً لأبيه أو خادم أبيه وكلاهما يطعمه
ويلاطفه ويسقيه . أما « فيني » فهو لا يطعمه ولا يسقيه ولا يتورع
عن خطف طعامه إذا ساع في مذاقه ، وقد يتبرم به فيضربه أو يقبض
على لسانه أو يضع أصابعه في عينيه ، وييجو في كل ذلك لا يقابل
الأذى بمثله ولا يفتأ متعلقاً بالطفل أشد من تعلقه بآله وذويه .

فلما زارني « فيني » مع أبيه بعد شفائه ونجاته من خطره كان
المعقول المنظور أن يخف « ييجو » إلى الأب الكبير الذي يعنى
بإطعامه وإيوائه ويشمله بمودته . غير أنه التفت أول ما التفت
إلى « فيني » العزيز دون غيره ، وتهافت عليه يعانقه ويلبس وجهه
بلسانه ويئن أنيناً من فرط حنينه وفرحه ، وجهدنا جهداً شديداً في
التحية بينه وبين مولاه الصغير لفرط ما أرهقه بتحياته ومجاملاته .

وكنا سبعة منا أستاذ في علم الزراعة والحيوان وأخ له أديب جمّ
الاطلاع وصديق مهذب من أدباء الموظفين وسيدة إنجليزية وابنها
اليافع ووالد فيني وكاتب هذه السطور . فأتعبنا الكلب الأمين
الودود جد التعب ونحن نبعده من هنا فيرجع من هناك على حال
من اللهفة والاشتياق تجلب الدمع إلى الآفاق . فإذا بين ييجو
ومولاه فيني من البر والمجاعة غير الصلة النفسية التي لاشأن لها
بالطعام والشراب ؟ ولماذا يحسب نفسه تابعاً للطفل ولا يحسب
نفسه تابعاً لأبيه ؟ إنه لا يفقه أنهم أهـدوه إلى فيني الصغير ليكون
لعبته وحارسه وعشيرته ، ولكنه قد يفقه أنه ثده وقرينه بواشجة
الطفولة والملاعبة الصبانية ، وهي على كل حال واشجة غير وشائج
المنافع والطعام والشراب

ويشبه هذا في الدلالة على إدراك الخلاق العجاء للصلات النفسية
أن « ييجو » لا يطيق « الطاهي » أحمد حمزة ولا يرتاح إلى رؤيته
ولا يسمع النداء على اسمه حتى يحسبه تهديداً له بالعقوبة والإقصاء ...
وهو مع هذا يألف فراش المنزل « محمداً » ويهش له ويستريح إلى
مصاحبته في المنزل وفي الطريق . فلم كانت هذه التفرقة عنده بين
هذا وذاك ؟ كلاهما يقدم له الطعام ويزيد صديقه « محمد »
بتجريعه الدواء الذي يتعاطاه لعلاج السعال أحياناً وهو يمقته

وينفر منه أشد النفور . غير أن الطاهي «أحمد حمزة» يتحاشى «بيجو» خوفاً من النجاسة فيشعر «بيجو» بحفائه ويلقاه بمثله ، ويحتمل التجريح والغصص من زميله لأنه يحتفى به ويأنس إليه .

ومن إدراكه «اللعاني» الفكر به أنك إذا لمست به بالعصا وهو غافل عن رؤيتها فهو لا يبالي ولا يحفل ولا يحسبك غاضباً أو قاصداً لعقابه . ولكنه إذا التفت إليك ورأى أن العصا هي عصا التأديب التي تخوفه بها ظهر عليه الرعب أو ظهر عليه الأسف والتوسل ، كأنه يقرن بالعقاب معنى غير معنى الضرب وألمه وهو استياء سيده وإعداده له عدة العقاب ...

والخلاصة أن «بيجو» مخلوق مفيد ومخلوق أنيس ، وهو أفيد ما يكون في المكتبة التي يملكها ويستشغل ظلها ، لأنني استفدت على يديه فوائد جلية وأنا أقرأ بعض الكتب الحديثة في علم النفس وعلم الاجتماع .

يقول علم النفس إن التعاطف في التربية والتعليم أنفع وأنجع من تبادل الأفكار ، وبيجو يؤكد لي ذلك لأنني أرى منه أن الكلاب أسرع تعلماً من القردة وهي أرفع في مرتبة التكوين والإدراك . وإنما فاقت الكلاب القردة بسرعة التعلم لأنها

عاشت الإنسان طويلا فاتصلت بينه وبينها العاطفة وإن لم يتقارب
بينه وبينها تركيب الأعصاب والدماغ .

ويقول علماء الاجتماع من أنصار « الفاشية » إن الغرائز لا تتبدل
وإن الحرب والعدوان غريزة الإنسان . فلا فائدة لوعظ الواعظين
بالسلام ونصح الناصحين بالإخاء والعدل والمساواة . وييجو
يدحض ذلك أيما ادحاض ، لأنه قد تحدر من سلالة الذئاب
فمازالت به التربية والمصانعة حتى أصبح حارس الأطفال والجملان .
وقد كان قبل ذلك آفة كل طفل من بني الإنسان وكل صغير
أو كبير من أبناء الضأن .

ويعد « ييجو » بحق من أحسن الشراح للعالم الروسى العظيم
« بافلوف » صاحب التجارب المشهورة فى إخوان ييجو من الكلاب
الروسية . فإنه جرّب أن الكلب يسيل لعابه إذا شاهد الطعام .
فقرن بين تحضير الطعام له ودق الجرس على مقربة منه . فإذا
بقمه يتحلب كذلك كلما دق الجرس ولو لم تصحبه رؤية طعام
فبنى على ذلك مذهبه فى مقارنات العواطف ومصاحبات
الشعور وظواهره الجسدية .

وجاء علماء النفس والتربية فاستفادوا من ذلك فوائد شتى
فى علاج الخوف والجشع والعادات الذميمة التى يصعب علاجها

في بعض الأطفال، فجعلوا يقرنون الشيء المخيف بالشيء المحبوب ليعودوا الطفل أن يسكن إليه ولا يخشاه، ويقرنون الشيء المرذول الذي يحبه الطفل بالشيء المزعج الذي يقصيه عنه وينفره من إتيانه ليقاع عن ذميم الخلال بداهة وعفواً بغير أمر ولا إلحاح .

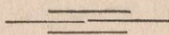
بيجو خير مفسر لهذا المذهب النافع الذي كان الفضل الأول فيه لواحد من أبناء جنسه . فقد عهدته في منزله الأول وليس أبغض إليه من السلسلة والطوق ، لأنهم كانوا يتيّدونه بهما في حديقة الدار كلما أضجرهم بعبثه وفضوله .

فلما جاء عندي وليس المنزل حديقة واسعة أطلقه فيها أصبحت السلسلة والطوق من أحب الأشياء إليه وأدعاهما إلى طربه وابتهاجه ... لأنه تعود كلما ربط بالسلسلة والطوق أن يخرج مع الخادم لغشيان الطريق وقضاء ساعته المندورة الهرح والرياضة في الخلاء .

وليبجو فنون أخرى يشارك في تفسيرها وتفهمها وفضائل شتى يتبرع بهداياها ومزايها ، وإن في بعض هذا لما هو حسبنا من تقدير للأستاذ بيجو والصديق بيجو والزائر الكريم بيجو . الذي نخشى أن نسطو عليه . لفرط ما نستفيد منه ونأنس إليه .

* * *

والآن وقد عرف القارىء من هو « ييجو » لا أراى بحاجة
إلى اعتذار من الحزن عليه والوفاء لذكراه . فإنه لم يخطئ فى وفائه
ولم يخطئ فى خلقته . ولم يخلق إنساناً فدنس الإنسانية بالغدر
ولكنه خلق كلباً فشرّف الحيوانية بالوفاء .



بيجو

حزناً على يبجو تفيض الدموع
حزناً على يبجو تشور الضلوع
حزناً عليه جهد ما أستطيع
وإن حزناً بعد ذاك الولوع
والله - يايبجو - لحزن وجيع

* * *

حزناً عليه كلما لاح لي
بالليل في ناحية المنزل
مسامري حيناً ومستقبلي
وسابق حيناً إلى مدخلي
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحف
أخش عليها من يديه التلف
ثم تنهت وبني من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف ...
ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

حزني عليه كلما عزني
صدق ذوى الألباب والألسن
وكلما فوجئت في مأمن
وكلما اطمأننت في مسكن
مستغنياً . أو غانياً بالقنوع

* * *

وكلما ناديته ناسياً :
يجو ! ولم أبصر به آتياً
مداعباً مبتهجاً صاغياً ...
قد أصبح البيت إذن خاوياً
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
أحسبني ذاكره ما حيت
لوجاعنى نسيانه مارضيت
بيجو معزى إذ ما أسيت
بيجو مناجى الأمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيجو الذى أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعمنى بالصياح
لونبحة منه ، وأين النباح؟
ضيعت فيها اليوم مالا يضيع

* * *

خطوته .. يابرحها من ألم
يחדش بابى وهو ذاوى القدم
مستجداً بى . ويح ذاك البكم !
بنظرة أنطق من كل فم
ياطول ما ينظر . ! هذا فظيع

* * *

نم لا أرى النوم لعيني يطيب
أنتم خميرون بنهش القلوب
يا آل قطمير هواكم عجيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا.. ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لا يحد
غيناي في ذاك وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبيك . أبيك وقلّ الجزاء
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال طعام وماء
لوصح هذا ما محضت الوفاء
لغائب عنك . وطفل رضيع

الفهرس

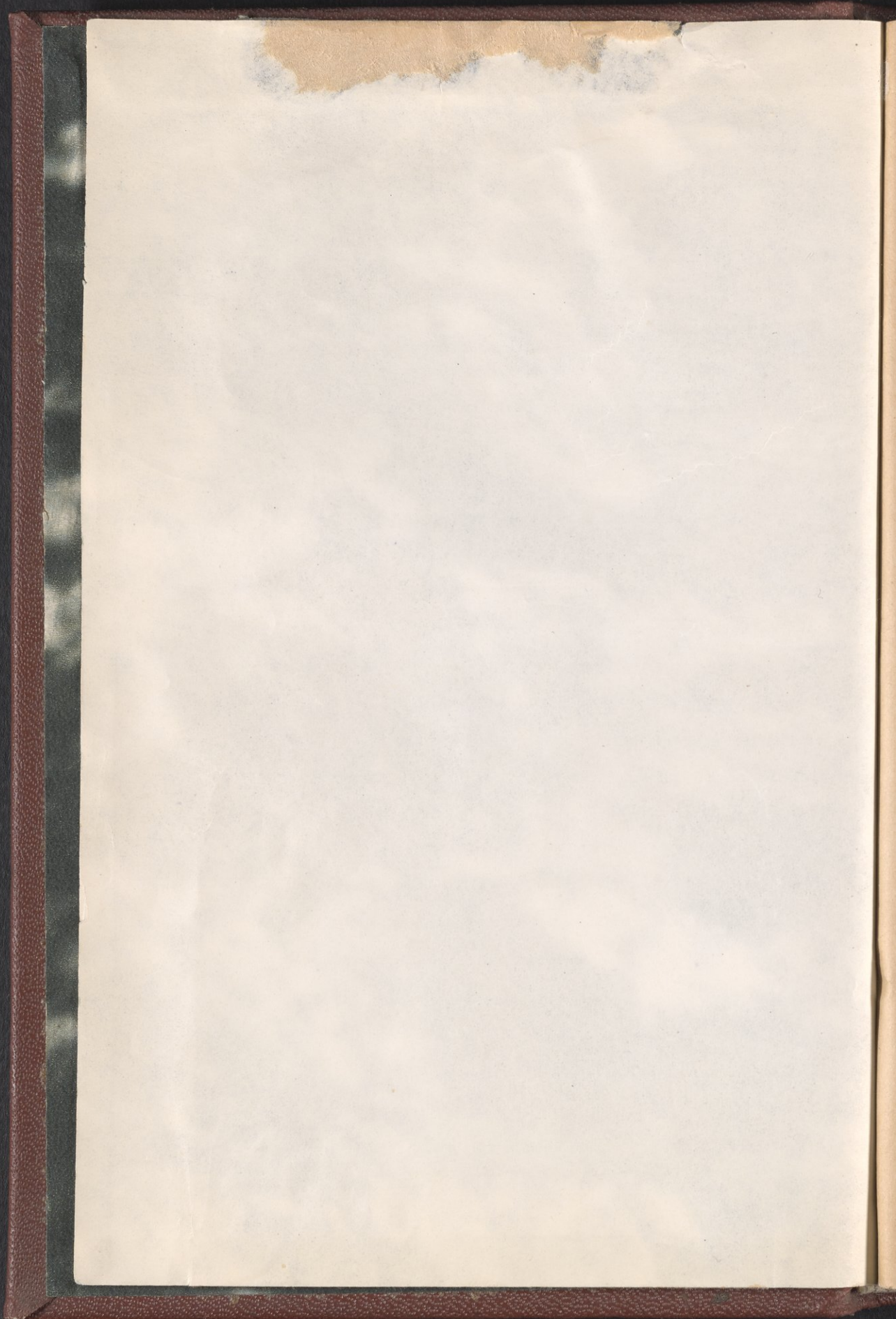
الإهداء	٣
مقدمة في اسم الديوان	٥
في العالم	١٧
في النفس	٢٥
في مصر	٨٣
في عالم الذكرى	١٠٣
هنا وهناك	١٣١

رسوم الديوان

للفنان الفاضل الأستاذ صالح سعودى شكرُ صاحب الديوان
على الرسوم التى أبدعتها ريشته لعناوين أبواب الديوان وختم
بعض القصائد . فمثل بها معانيها للعيان .

تصحيح

فى السطر الثانى من الصفحة ١١ ٦٧ « نظرت » وصوابها نذرت



AUC - LIBRARY



DATE DUE



PJ
7814
Q6
A3x
1942

AMERICAN UNIVERSITY IN WASHINGTON



1 0 0 0 0 1 1 5 7 5 8

